التحذير والإغراء

في الصحيحين دراسة بلاغية

إعداد الباحث

محمد عبود جعد عبد الجليل مرعي.

مدرس البلاغة والنقد في كلية اللغة العربية بإيتاي البارود

التحذير والإغراء في الصحيحين دراسة بلاغية

محمد عبود جاد عبدالجليل مرعي

قسم البلاغة والنقد، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر. إيتاي البارود، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني : Mohamed abood. 2034@azhar.edu.eg

الملخص :

هذا بحث بعنوان: التحذير والإغراء في الصحيحين دراسة بلاغية، قمت فيه بجمع الأحاديث التي اشتملت على هذين الأسلوبين، ودرستها دراسة بلاغية مبينا أثر هذين الأسلوبين في فقه بناء المعنى كل في سياقه ومقامه، كما هدفت الدراسة إلى معرفة الأمور التي حذر منها النبي- ﷺ- ؛ بغية اجتنابها، و أخذ الحذر والحيطة ؛ لأن منها ما يؤدي إلى هلاك النفس، ومنها ما يؤدي إلى هلاك المجتمع بأسره ، كما يتمثل في معرفة الأمور التي أغرانا فيها النبي- ﷺ- حرصا على التخلق بها، والعض عليها؛ وذلك لأنها جاءت في جانب مهم من جوانب هذا الدين، ألا وهو مكارم الأخلاق التي هي تمام بنائه.

وقد خلصت الدراسة إلى نتائج منها أن النبي-ﷺ- اتخذ من أسلوب التحذير وسيلة لدفع المسلم إلى توقى الخطر، والبعد عما يعرضه له؛ حفاظًا على سلامة المجتمع من الانحراف في مزالق الفساد والانحلال ، وتردى القيم، والمبادئ والأخلاق، ومنها أن أسلوب التحذير – وهو من أساليب الطلب- أتبع ببيان علته ، وحكمة مشروعيته؛ استمالة إلى الطاعة، والامتثال ، وتوجيهًا للملكات الإنسانية إلى استجلاء ما وراء الطلب من

مصالح تتحقق بالتأمل والانصياع ، ومنها أن المغرى به في أحاديث النبي-ﷺ-في أكثر المقامات أتى مكررًا؛ مما يدل على توكيده في النفوس، وحرصا منه في الاهتمام، والعناية به.

الكلمات المفتاحية: الصحيحين- التحذير- الإغراء- دراسة بلاغية.

(Warning and temptation in the two Sahihs - a rhetorical study)

Muhammad Aboud Gad Abdul jalil Marei

Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Arabic Language, Al-Azhar University Itay Al-Baroud, Egypt.

Email : Mohamed abood. 2034@azhar.edu.eg

Abstract:

This is a research entitled: Warning and temptation in the two Sahihs, a rhetorical study, in which I collected hadiths that included these two methods, and studied them rhetorically, indicating the impact of these two methods on the jurisprudence of building meaning, each in its context and place, and the study also aimed to know the things that the Prophet (may Allah's peace and blessings be upon him) warned about, in order to avoid them, and to take caution and caution, because some of them lead to the destruction of the soul, and some of them lead to the destruction of the whole society, as represented in knowing the things that The Prophet (may Allah's peace and blessings be upon him) tempted us in it out of order to create it and bite on it, because it came in an important aspect of this religion, namely the noble morals that are fully built.

The study concluded that the Prophet (may Allah's peace and blessings be upon him) took the method of warning as a means to push the Muslim to avoid danger and to avoid what exposes him to him, in order to preserve the safety of society from deviation in the pitfalls of corruption and decay, and the deterioration of values, principles and morals, including: The method of warning - which is one of the methods of request - was followed

by explaining its reason and the wisdom of its legitimacy, in order to attract obedience and compliance, and to direct human faculties to clarify the interests behind the request that are achieved by meditation and obedience, including that the temptation to him in the hadiths of the Prophet - may God's peace and blessings be upon him - in most of the shrines came repeatedly, which indicates his affirmation in the souls, and his keenness to care for him and take care of him.

Keywords: correct - warning - temptation - rhetorical study.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الذي حذرنا من كل شر، ودلنا على كل خير ، أحمده- سبحانه- حمدا يليق بذاته، وجلاله، وأشكره على مزيد فضله، وعظيم آلاءه، وأصلى، وأسلم على سيدنا محمد، معلم الناس الخير, وعلى آله، وصحبه أجمعين.

وبعد،

فإن أسلوبي التحذير والإغراء من الأساليب التي تكلم النحويون عنهما كلاما وافيا، فتكلموا عن معنيهما، وعن الصور التي يأتي عليها كل منهما، وعن الألفاظ الموضوعة لهما، وعن الأحكام المتعلقة بهما، وهذه دراسة نحوية أصيلة لا بد منها، ولكن تبقى دراسة هذين الأسلوبين من الناحية البلاغية من أهم الدراسات؛ لمعرفة الأسرار البلاغية التي ينطوي عليها كلاهما في سياقهما، ومقامهما من الكلام.

ويعد أسلوبا التحذير والإغراء من الأساليب الشائعة في اللغة العربية، فتجدها في كلام الله - عزوجل - وكلام رسوله، ثم كلام الناس، وعلى الرغم من وفرة وجودهما في الكلام الفصيح إلا أن الجانب التطبيقي من الوجهة البلاغية- فيما أعلم- منعدم تماما، إذ لم أر دراسة بلاغية واحدة تتوفر على دراستهما في حقل من حقول الإبداع، ومن ثم أردت أن أصاحب هذين الأسلوبين في ساحة من ساحات الإبداع بعدما أطال النحويون مصاحبتهما في ساحة التنظير، وقد وقع اختياري على البيان النبوي؛ لما يتمتع به من رصانة الأسلوب، ودقة الألفاظ، وروعة المعاني، هذا إلي جانب أن البيان النبوي خير أنموذج بشري ينبغي أن

يحتذي به؛ لتكوين ملكة بيانية فنية، وذائقة بلاغية نقدية , وكيف لا ؟! وهو الذي أعجز البلغاء، وقهر عناد الفصحاء، فلم يسمعوا كلامًا قط «أعمَّ نفعًا , ولا أصدق لفظًا، ولا أعدل وزنًا, ولا أجمل مذهبًا , ولا أكرم مطلبًا , ولا أحسن موقعًا , ولا أسهل مخرجًا , ولا أفصح معني , ولا أبين في فحواه من كلامه – ﷺ–» (١)

وقد اعتمدت في دراستي لهذين الأسلوبين على ما جاء في الصحيحين البخاري ومسلم– رحمهما الله تعالى– ؛ لأنهما أصح الكتب بعد كتاب الله – تعالى – وأضبطهما متنًا وسندًا ؛ ومن ثم جاء البحث بعنوان:(التحذير والإغراء في الصحيحين– دراسة بلاغية).

وقد دفعني إلى اختيار دراسة هذين الأسلوبين عدم وجود دراسة بلاغية مستقلة عنيت ببيان دورهما في فقه بناء المعنى في بيان النبوة، خاصة مما ورد من الأحاديث التي وردت في الصحيحين، سوى دراسة بلاغية واحدة تقترب من موضوع هذا البحث، ألا وهي(من تحذيرات النبي– صلى الله عليه وسلم– في صحيح البخاري ومسلم دراسة بلاغية)، للباحثة/ همت محمد مجاهد القاضي، وهي رسالة مخطوطة في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة، لعام ٢٠١١م، ولم أطلع عليها إلا بعد أن انتهيت من كتابة بحثي هذا، حيث وجدت أن هناك فارقا كبيرا بين دراستي ودراستها، فالتحذير عندها شمل الموضوعات التي رهب النبي– ﷺ– من القيام ، كتحذيره من الكفر بالله، وتحذيره من ترك

---

(١) البيان والتبيين، لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبي عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ)، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: ١٤٢٣ هـ، ١٤/٢.

الصلاة، وتحذيره من منع الزكاة، وتحذيره من بعض الأخلاق الذميمة كالكبر، وأكل أموال الناس بالباطل، وغيرها من الموضوعات المتنوعة التي عالجتها رسالتها ، وذلك ليأخذ المسلم حذره منها، وقد قسمت الباحثة خطة بحثها بعد المقدمة والتمهيد إلى ستة فصول: الفصل الأول جاء بعنوان: من التحذيرات النبوية في العقيدة، والفصل الثاني بعنوان: من التحذيرات النبوية في العبادات، والفصل الثالث بعنوان: من التحذيرات النبوية في العلاقات الاجتماعية، والفصل الرابع بعنوان: من التحذيرات النبوية في الآداب، والفصل الخامس بعنوان: من التحذيرات النبوية في المعاملات، والفصل السادس بعنوان: من التحذيرات النبوية في المجال الصحي، وبعد الاطلاع على الأحاديث التي تناولتها الباحثة تحت تلك الفصول، وجدت أنها اشتركت معي في تحليل ثلاثة أحاديث من الأحاديث التي ورد فيها قمت بتحليلها(١) ، وجاء تحليلي مختلفا تماما عن تحليلها؛ لأنني كنت معنيا بجملة التحذير، وكيف أنها كانت المدخل الرئيس لبقية معاني جمل الحديث ، وربط ما بعدها بها، والنظر في الروايات التي جاءت فيها، وهذا لم تراعيه الباحثة في تحليليها للأحاديث الثلاثة المشار إليهم في هامش الصفحة؛ ثم إنها أغفلت الأحاديث الأخرى المبدوءة بهذا الأسلوب-أعني المبدوءة بـ(إياك)؛ لأن بحثها لم يتخصص فيه؛ لذا جاءت أساليب التحذير في الأحاديث التي حللتها الباحثة متنوعة تارة عن التصريح، وتارة عن طريق التلميح، وتارة عن طريق الأمر، وتارة

(١) الحديث الأول المبدوء بقوله- ﷺ-: «إِيَّاكُمْ وَالْوِصَالَ»، والحديث الثاني المبدوء بقوله- ﷺ-:: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ»، والحديث الثالث المبدوء بقوله- ﷺ-: «إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ»

عن طريق النهي، وتارة عن طريق الخبر، وذلك حسب البناء التركيبي للحديث، أما دراستي تلك، فقد انفردت بدراسة أسلوب التحذير النحوي من نحو (إياك وفروعها) والإغراء، وبيان بلاغة التعبير بهما في أحاديث الصحيحين، فضلا عن أن هذين الأسلوبين لم ينالا حظهما من الدراسة عند البلاغيين ، وإن كانا داخلين ضمن الأساليب الإنشائية، حيث خلت كتب البلاغة النظرية من الحديث عنهما، وكذلك التطبيقية ، لذا يعد هذا البحث- فيما أعلم- إضافة قوية للبحث البلاغي.

أما الهدف من هذه الدراسة، فيتمثل في بيان معرفة الأمور التي حذر منها النبي- ﷺ- بأسلوب التحذيري النحوي؛ بغية اجتنابها، والحذر منها؛ لأن منها ما يؤدي إلى هلاك النفس، ومنها ما يؤدي إلى هلاك المجتمع بأسره، كما يتمثل في معرفة الأمور التي أغرانا فيها النبي- ﷺ- حرصا على التخلق بها، والعض عليها؛ وذلك لأنها جاءت في جانب مهم من جوانب هذا الدين، ألا وهو مكارم الأخلاق التي هي تمام بنائه

أما عن منهج الدراسة، فيتمثل في الآتي:

أولاً: جمع ما يمكن جمعه من أحاديث النبي- ﷺ- التي اشتملت على أسلوبي التحذير والإغراء، و ذلك بعد استقراء الصحيحين.

ثانيا: تصنيف دراسة الأحاديث باعتبار جملة التحذير، أو الإغراء بوضع كل حديث تحت عنوانه اللائق به، الملائم له ،وبيان الرواية التي اعتمدت عليها أهي للبخاري أم لمسلم ؟ أم انفرد بها أحدهما؟

ثالثا: شرح الحديث شرحا موجزا مبينا معناه، والغرض الذي سيق من أجله.

رابعا: البدء في التحليل البلاغي بأسلوب التحذير، أو الإغراء أولا، ثم دراسة العناصر البلاغية التي تفرعت عنه ؛ إذ إن جملة التحذير، أو الاغراء تعد المدخل الرئيس لبقية جمل الحديث، بل هي الجملة الأم؛ لأن ما بعدها امتداد للمعنى الذي حملته.

هذا وقد اقتضت خطة البحث أن تتكون من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مطالب، وخاتمة، وفهرسين، فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

المقدمة بينت فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والهدف منه، والتمهيد تحدثت فيه عن التحذير، والإغراء عند النحويين، والمنهج المتبع في الدراسة، ثم جاءت مطالب الدراسة: المطلب الأول جاء بعنوان: التحذير في الصحيحين، ورتبته على النحو الآتي:

أولا: التحذير من كرائم الأموال.

ثانيا: التحذير من وصال الصوم.

ثالثا: التحذير من كثرة الحلف في البيع.

رابعا: التحذير من ذبح الحلوب.

خامسا: التحذير من الدخول على النساء.

سادسا: التحذير من الجلوس على الطرقات.

سابعا: التحذير من الظن.

،أما المطلب الثاني، فجاء بعنوان: الإغراء في الصحيحين ، ورتبته على النحو الآتي:

أولا: الإغراء في لزوم ديار بني سلمة ديارهم.

ثانيا: الإغراء في كثرة السجود.

ثالثا: الإغراء في السكينة عند أداء مناسك الحج.

رابعا: الإغراء في القصد في العمل، وعدم التشدد فيه.

خامسا: الإغراء في الرفق بالقوارير.

سادسا: إغراء سيدنا جابر- رضي الله عنه- في إتيان أهله بعد العودة من السفر أو الغزو.

سابعا: إغراء الأحباش في اللعب بالحراب في مسجد رسول الله-ﷺ-.

أما المطلب الثالث، فقد جاء بعنوان، اجتماع أسلوبي الإغراء والتحذير في الصحيحين، وجاء مرتبا على النحو الآتي:

أولا: الإغراء في الصدق، والتحذير من الكذب.

ثانيا: الإغراء في الرفق، والتحذير من العنف.

،ثم جاءت الخاتمة رصدت فيها أهم، وأبرز النتائج التي توصل إليها البحث، ثم ختمته بثبت المصادر والمراجع، وثبت الموضوعات.

التمهيد:

نبذة عن التحذير والإغراء عند النحويين.

أولا: التحذير في اللغة والاصطلاح:

التحذير في الأصل مصدر الفعل "حذر" بالتشديد ، ومعناه التخويف[١]، وهو في اللغة بمعنى الإبعاد عن الشيء، وقيل تخويف شيء من شيء[٢]،

وفي اصطلاح النحويين: تنبيه المخاطب على أمر مكروه؛ ليجتنبه[٣].

صور التحذير:

لأسلوب التحذير صور مختلفة؛ منها: صورة الأمر؛ كالذي في قول الشاعر:

---

(١) لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ، مادة(حذر)،ومختار الصحاح، لزين الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، مادة(حذر)، صـ٦٨.

(٢) حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، لأبي العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ –١٩٩٧م،٢٧٨/٣.

(٣) أوضح المسالك إلي ألفية بن مالك . لجمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري ، تحقيق / يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر . بيروت ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ٧٥/٤،.

احذر مصاحبة اللئيم، فإنها ... تعدي كما يعدي السليم الأجرب

ومنها: صورة النهي؛ كقول الأعرابي في لغته، وقد فتنته:

لا تلمني في هواها ... ليس يرضيني سواها

ومنها: الصورة المبدوءة بالضمير "إياك"، وفروعه الخاصة بالخطاب.

إلى غير ذلك من الصور التي يأتي عليها، لكن ما يهم البحث، وما يقصده هي الصورة الثالثة؛ لأنها هي التي عليها مدار البحث.

قال النحويون: « ويكون بثلاثة أشياء: منها التحذير بـ"إياك" وأخواته، فإن ذكر المحذر بلفظ "إيا" ، فالعامل" في محلها النصب فعل "محذوف لزومًا"؛ لأنه لما كثر التحذير بلفظ "إيا" جعلوه بدلا من اللفظ بالفعل، والتزموا معه إضمار العامل، "سواء عطفت عليه" المحذر منه، نحو: إياك والشر، "أم كررته" نحو: [من الطويل]

إيّاك إيّاك المِرَاءَ فإنّه ... إلى الشَرّ دعاءٌ وللشّرّ جالِبُ (١)

<u>الأصل في أسلوب التحذير.</u>

الأصل في أسلوب التحذير: أن يشتمل على ثلاثة أشياء: المحذِّر: هو المتكلم الذي يوجه التحذير لغيره، والمحذَّر: وهو الذي يتوجه إليه

---

(١) التصريح بمضمون التوضيح في النحو، لخالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، (المتوفى: ٩٠٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م،٢/٢٧٩.

التنبيه والتحذير، والمحذَّر منه: وهو الشيء الذي يطلب تجنبه، والبعد عنه» [١].

<u>الإغراء في اللغة والاصطلاح وصوره:</u>

أما الإغراء في اللغة: فمصدر أغريت فلانا بكذا: حببته إليه، وحملته على فعله[٢].

وفي الاصطلاح: « "تنبيه المخاطب على أمر محمود ليفعله».[٣]**" ، وحكم الاسم" المنصوب "فيه حكم" الاسم في "التحذير الذي لم يذكر فيه "إيا" فلا يلزم حذف عامله إلا في عطف أو تكرار" ، "كقولك" في العطف: "المروءة والنجدة"، بنصبهما، "بتقدير "الزم"، وقوله"، وهو مسكين الدارمي في التكرار:**

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لا أَخَا لهُ ... كَسَاعٍ إِلَى الهَيْجَا بغَيْرِ سِلاحِ

وأسلوب الإغراء يشمل: المغرِّي؛ وهو المتكلم، والمغرَّى؛ وهو المخاطب؛ والمغرَى به؛ وهو الأمر المحبوب[٤].

والأكثر في أساليب التحذير والإغراء أنها إنشائية طلبية؛ تبعا لنوع عاملها الدال على هذا النوع، فإن لم يكونا دالا على الإنشاء الطلبي فهي خبرية[٥].

---

(١) حاشية الصبان على شرح الأشموني،٣/٢٧٨.

(٢) لسان العرب، مادة(غرا).

(٣) التصريح بمضمون التوضيح في النحو ٢/٢٧٩.

(٤) السابق: ٢/٢٧٩.

(٥) النحو الوافي ، أ / عباس حسن – دار المعارف – مصر – ط : الثالثة ١٩٧٤ م ٤/١٣٧،.

وسوف ينطلق البحث – بمشيئة الله تعالى – مع معايشة هذين الأسلوبين في رحاب أحاديث الصحيحين؛ ليجلي أسرارهما البلاغية، ويكشف لطائفهما البيانية كل في سياقه ومقامه.

التحذير في الصحيحين

جاء تعبير النبي– ﷺ– في بعض المقامات، والمواقف مما جاء في أحاديث الصحيحين بأسلوب التحذير بـ(إياك) وفروعها؛ لغرض تنبيه المخاطب على أمر مكروه يجب اجتنابه، والاحتراز منه؛ مخافة وقوع الضرر، والأذى بمجرد الإقبال عليه، والانغماس فيه؛ لذا كان في اجتناب هذا المحذور من المنفعة، والمصلحة التي تعود على المخاطب، سواء أكان ذلك على مستوى الفرد، أو الجماعة، وإليك أيها القارئ الأحاديث التي وردت فيها أسلوب التحذير عنونتها على النحو الآتي:

أولا: التحذير من كرائم الأموال.

ثانيا: التحذير من وصال الصوم.

ثالثا: التحذير من كثرة الحلف في البيع.

رابعا: التحذير من ذبح الحلوب.

خامسا: التحذير من الدخول على النساء.

سادسا: التحذير من الجلوس على الطرقات.

سابعا: التحذير من الظن.

أولا:

التحذير من كرائم الأموال.

روى ابْن عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ– لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى اليَمَنِ: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ، فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»(١).

يبين النبيُّ –ﷺ– في هذا الحديث الشريف لمعاذ بن جبل– ﷺ– البرنامج الدعوي الذي يسلكه في دعوة أهل اليمن إلى الإسلام، وتبليغهم شرع الله، وأحكامه، مراعيًا التدرج في البلاغ؛ حتى تتهيأ نفوسهم للقيام بما عليها من تكاليف على الوجه الذي ينبغي أن يكون.

---

(١) صحيح البخاري، الجامع الصحيح المختصر، لمحمد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا الناشر : دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧ م، كتاب الزكاة، بَابُ أَخْذِ الصَّدَقَةِ مِنَ الأَغْنِيَاءِ وَتُرَدَّ فِي الفُقَرَاءِ حَيْثُ كَانُوا، حديث رقم ١٤٩٦،٢/١٢٨، وصحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله–ﷺ– لمسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ): تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، حديث رقم ١٩،١/٥٠، واللفظ للبخاري.

وكان مما أوصى النبيُّ-ﷺ- به معاذا أنه إن استجاب له الأغنياء في دفع زكاة أموالهم لفقرائهم ألا تمد يده إلى أعز، وأفضل أموالهم إلى نفوسهم، وذلك في أسلوب الشرط الأخير في الحديث« فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»، وقد وقع أسلوب التحذير جوابًا للشرط؛ لأن جملته إنشائية طلبية؛ (١)، ولهذه اللفظة (إياك) لها ما ليس لغيرها من الإثارة، والتنبيه، والالتفات، والإيقاظ؛ لما تعورف عليه من استعمالها في اللغة؛ للتحذير من الأمور الخطيرة، والتي يتوقع من جهتها مكروه؛ فإن السامع إذا طرقت سمعه تلك اللفظة تأهب، وانتفض من مشاغله، وشواغله، وأثير انتباهه، ونشط عقله للوقوف على المحذور منه حتى إذا أدركه اجتنبه ، وابتعد عنه، فالنبي- -ﷺ- يحذره من كرائم الأموال: « "(٢)، **ومن التعرض لها؛" "لأن الزكاة وجبت؛ مواساة للفقراء من مال الأغنياء، ولا يناسب ذلك الإجحاف بأرباب الأموال، فسامح الشرع بأرباب الأموال بما يضنون به، ونهى المصدقين عن أخذه إلا إن رضوا بذلك »** (٣). **ولذا قال النووي- رحمه الله-: « يحرم على الساعي أخذ كرائم المال في أداء الزكاة، بل**

---

(١) النحو الوافي، ، ١٣٥/٤.

(٢) كرائم الأموال: نفائسها التي تتعلق بها نفس مالكها ويختصها، وواحدتها كريمة، لسان العرب مادة (كرم).

(٣) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لأبي الحسن المباركفوري المتوفى(١٤١٤هـ)، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ ٧/٦، نيل الأوطار شرح منتقي الأخبار من أحاديث سيد الأخيار للإمام/ محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق د/ كمال الجمل، و أ/عبد الله المنشاوي، والشيخ/ محمد بيومي والشيخ/ صلاح عويضة، مكتبة الإيمان . بالمنصورة الطبعة الأولي ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م،: ١٤٠/٤ .

يأخذ الوسط، ويحرم على رب المال إخراج شر المال، وهذه هي الوسطية التي هي الاعتدال» [١].

وكرائم منصوب بفعل مضمر لا يجوز إظهاره، لأنّه قد كثُر به التّحذير، وجُعِلَ بدلاً من اللّفظ بالفعل[٢] والتقدير: واحذر كرائم أموالهم، والحذف يصفى العبارة، ويقوى حبكها، ويشد أسرها، وكذا يوفر العناية، ويشغل مدارك العقل بهذا التحذير؛ لأنه الغرض المقصود من الكلام، فضلاً عما في الحذف من "إمتاع لأهل الفكر بالاستنباط، والاستخراج الفكري، اعتمادًا على دلالات القرائن"[٣]، وهذا هدف تربوي، وأصل من أصول التربية الحديثة؛ إذ في الحذف ينتبه المتلقي، ويتجدد نشاطه؛ بحثًا عن المحذوف، فإذا ما وصل إليه بنفسه استقر المعنى في ذهنه[٤].

ثم ضاعف النبيُّ -ﷺ- من تنبيه مخاطبه، وإيقاظ مشاعره، وتهيئة نفسه للتلقي، والوقوف على المحذور منه، وعدم الاقتراب منه، عن طريق فعل الأمر(واتق) الذي عطف على عامل إياك المحذوف وجوبًا ، فالتقدير: اتق

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، المسمى المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.، ١٩٧/١.

(٢) اللمحة في شرح الملحة، لمحمد بن حسن بن سِباع بن أبي بكر الجذامي، أبي عبد الله، شمس الدين، المعروف بابن الصائغ (المتوفى: ٧٢٠هـ)، تحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م،٥٢٩/٢.

(٣) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: للدكتور/ عبد الرحمن حسن حبنَّكة الميداني، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ،١٩٩٦، .٣٤٥/١.

(٤) ينظر: الحذف البلاغي في القرآن الكريم: مصطفى عبد السلام أبو شادي ، مكتبة القرآن بالقاهرة، ٧.

نفسك أن تتعرض للكرائم، وأشار بالعطف إلى أنَّ أخذ الكرائم ظلم، ولكنَّه عمَّم إشارة إلى التحرز عن الظلم[1]،وفيه تنبيه على المنع من جميع أنواع الظلم، وإنما ذكره عقب المنع من أخذ الكرائم؛ للإشارة إلى أن أخذها ظلم، كما أنَّ مجيء هذا الفعل عقب التحذير من أخذ كرائم أموال الأغنياء في الصدقات له ملمح ومغزى، وهو أنَّ الغني قد يظلم بامتداد يدي السلطان إلى أحب أمواله، وإن كان الغني بماله قد وقع تحت طائلة الظلم، فما بالنا بغيره من فقراء القوم وعجزتهم، والذين لا يملكون سوى دعوة يناجون بها الله – عزوجل–، ويلقون بمظلمتهم بين يديه، فيسمعهم، ولا يحجبهم عنه حاجب، وذلك قوله: « فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»، وقد جاء تعليلاً للاتقاء، وتمثيلاً للدعاء كمن يقصد دار السلطان متظلمًا فلا يحجب[2]، وقد جاء مؤكدا بـ (إن)؛ تحقيقًا له وتأكيدًا، والضمير في قوله: « فإنه » ضمير الشأن والقصة، وهذا الضمير له في الكلام موقع رائق "حيث يورث الكلام فخامة ونبلا؛ لأنه ينبه، ويوقظ ، ويهيئ، وذلك بما فيه من غموض، فإذا جاء الخبر بعده صادف نفسا يقظى، وفهما متوفرًا يتسارع إلى المعنى، والمتكلم المبين حين يأتي بضمير الشأن كأنه يطرق في أذن السامع طرقة تنبيه، ويقول انتبه؛ لأنه سيأتيك من الكلام ما يجب الحفاوة

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري . ابن حجر العسقلاني – ت : الشيخ / عبدالعزيز بن باز، و أ/محمد فؤاد عبدالباقي – دار مصر للطباعة – ط : الأولى ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م .٤/٢٠٥، ٣/٣٦٠ .

(٢)السابق، ٣/٣٦٠

به "[1]، بل إن ما بعد ضمير الشأن هنا مما ينخلع له القلب، ولو وقف عليه كل ظالم لما رأينا مظلمة قط .

والضمير في قوله: « بينه » يعود على المظلوم، وعند مسلم: « بينها » بعود الضمير على دعوته، تخويفًا وتحذيرًا من تلك الدعوة، فإن سُدّ دون المظلوم كل باب، فهناك باب لن يسد، وله دعوة لن ترد، ولن يحجبها عن الله حاجب، أيُّ حاجب، قل أو كثر، كبر أو صغر، فالتنكير هنا عمّ كل حاجب، كما أفاد التعريف في قوله:« المظلوم» كل مظلوم، وإن كان فاجرًا، وهذا مما يتناسب مع ما في رواية مسلم من أنَّ الدعوة هي التي ليس بينها وبين الله حجاب .

ثانيا:

التحذير من وصال الصوم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ– ﷺ–: «إِيَّاكُمْ وَالْوِصَالَ» قَالُوا: فَإِنَّكَ تُوَاصِلُ، يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «إِنَّكُمْ لَسْتُمْ فِي ذَلِكَ مِثْلِي، إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي، فَاكْلَفُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ»[2]

(١) شرح أحاديث من صحيح البخاري دراسة في سمت الكلام الأول، د/ محمد أبو موسى – مكتبة وهبة – ط: الثانية١٤٣١هـ,٢٠١٠م. : د/ محمد أبو موسى: صـ٣٧١ .

(٢)صحيح البخاري، كتاب الصوم، ، بَاب التَّنْكِيلِ لِمَنْ أَكْثَرَ الْوِصَالَ، حديث رقم ١٩٦٦، ٣٨/٣،وصحيح مسلم، كتاب الصيام، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْوِصَالِ فِي الصَّوْمِ، حديث رقم١١٠٣، ٧٧٤/٢، واللفظ لمسلم.

الحديث الشريف جاء في «اجتناب تتابع الصوم بغير فطر فيحرم؛ لأنه يورث الضعف، والملل، والعجز عن المواظبة على كثير من وظائف العبادات والقيام بحقها، »[١].

وقد ابتدأ النبي- ﷺ- الحديث الشريف بأسلوب التحذير(إياكم)؛ « لأن السامع إذا طرقت سمعه تلك اللفظة انتفض من شواغله، وألقى انتباهه، وبخاصة إذا عرف من محذره حرص الناصح الأمين»[٢].

ولا شك في أن النبي- ﷺ- كان حريصا تمام الحرص على أمته، حيث نهاهم عن الوصال؛ رفقًا بهم، ورحمة، فنبههم عن طريق أسلوب التحذير على عدم التتابع في الصيام؛« لما كان يخافه من الضعف عليهم بالوصال عما كان أنفع منه بالجهاد، والقوة على العدو مع حاجتهم في ذلك الوقت»[٣].

وفي بعض الروايات كرر النبي - ﷺ- جملة التحذير مرتين، حيث قَالَ «إِيَّاكُمْ وَالْوِصَالَ». مَرَّتَيْنِ[٤]، وفي بعضها ثلاث مرات[١]، وفي التكرار تأكيد

---

(١)فيض القدير شرح الجامع الصغير، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦هـ،١٢٣/٣.

(٢)الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية .د/ كمال عز الدين – دار اقرأ – ط : الأولى ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م ، صـ٤٠٧.

(٣)المنتقى شرح الموطإ، لأبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (المتوفى: ٤٧٤هـ)، الناشر: مطبعة السعادة – بجوار محافظة مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٣٢ هـ،٦١/٢.

(٤)صحيح البخاري، كِتَابُ الصَّوْمِ، بَابُ التَّنْكِيلِ لِمَنْ أَكْثَرَ الوِصَالَ، حديث رقم٢،١٨٦٥/٦٩٤.

منعهم من الشروع في القيام بهذا النوع من الصيام، والتشديد عليهم في الابتعاد عن المحذر منه.

وقد وجه النبي – ﷺ– الخطاب إلى جماعة الذكور(إيَّاكم) مع أن النهي عن الوصال يدخل فيه النساء– أيضا–؛ تغليبا للرجال على النساء؛ ولأن الرجل هو الأصل في خطاب الشرع، والنساء محمولات على الرجال في التكليف بهذا الخطاب إلا ما ورد خاصا بهن.

وفي التعبير بتلك الطريق – أعني التحذير– بتلك الطريقة إيجاز في العبارة، وإثارة للملكات النفسية، والعقلية عند المتلقي.

و(إيَّاكم) مفعول به لفعل محذوف تقديره:(إيَّاكم أحذر)، وإنما وجب الحذف؛« لأن القصد أن يفرغ سريعا من لفظ التحذير حتى يأخذ المخاطب حذره من ذلك المحذور، وذلك لأنه لا يستعمل هذه الألفاظ إلا إذا شارف المكروه أن يقع، وهو المعطوف، وهذا يعني أن التحذير مما يخاف منه وقوع المخوف، فهو موضع إعجال لا يحتمل تطويل الكلام؛ لئلا يقع المخوف بالمخاطب قبل تمام الكلام»[٢].

---

(١)مصنف أبي شيبة، من رخص فِي الْوِصَالِ لِلصَّائِمِ. حديث رقم ٨١، ٣/٨٣.

(٢)شرح الرضي على الكافية، للشريف الرضي – ت : د / يوسف حسن عمر – منشورات جامعة قار يونس – بنغازي – ط : الثانية ١٩٩٦ م ، ١/٤٨. الأشباه والنظائر، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١١هـ– ١٩٩١م،١/٣٣٣.

والأمر الذي حذرنا منه النبي – ﷺ– هو صوم الوصال، وهو أن يصوم الإنسان يومين فصاعدا من غير أكل وشرب بينهما(١)، وانتصبت كلمة (الوصال) على التحذير، يعني احذروا الوصال، وحذف فعله؛ «إيجازًا في العبارة، واعتمادًا على ذكاء السامع، وتعويلا على إثارة حسه، وبعث خياله، وتنشيط نفسه، حتى يفهم بالقرينة، ويدرك باللمحة، ويفطن إلى معاني الألفاظ التي طواها التعبير»(٢).

ورحم الله الأستاذ أحمد حسن الزيات؛ إذ يقول متحدثا عن الإيحاءات التي يمنحها الإيجاز بالحذف للأسلوب: «والمزية الظاهرة للإيجاز على الإطناب أنه يزيد في دلالة الكلام من طريق الإيحاء؛ ذلك لأنه ينزل على أطراف المعاني ظلالا خفيفة، يشعل بها الذهن، ويعمل فيها الخيال، حتى تبرز، وتتلون، وتتسع»(٣).

وقد حذف الفعل– أيضًا– في هذا السياق؛ لفتا، وتنبيها إلى اجتناب المحذور، والبعد عنه، وعدم الشروع في فعله.

ولعل الصحابة– رضوان الله عليهم– أرادوا وصال الصيام؛ تأسيا بنبيهم، واقتداء به رغبة في نيل الأجر، وإصابة السنة، فقالوا: فإنك تواصل ، والفاء واقعة في جواب شرط محذوف تقديره: إذا لم نواصل، فإنك

---

(١)المجموع شرح المهذب ، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار الفكر، بدون طبعة،٣٥٦/٦.

(٢)خصائص التراكيب " دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني "، د / محمد أبو موسى – مكتبة وهبة – ط : السادسة ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م ،١٥٣.

(٣)دفاع عن البلاغة ، أ / أحمد حسن الزيات – مطبعة الرسالة – ط : ١٩٤٥ م ،صـ٩٩.

تواصل، وفي الحذف اختصار للكلام، وإسراع إلى إثبات المطلوب، وتقرير له، واعتناء بشأنه.

وقول الصحابة- رضوان الله عليهم-:(إنك تواصل) هذا من باب حرصهم على الخير، والاقتداء به، فهي تأكيد منهم، وتقرير بمشاهدة تتابعه- ﷺ- في الصيام، وهذا القول: « يعد استعلاما منهم إن كان ذلك نحكم يختص به دون أمته، أو لمعنى ما يخافه عليهم من الضعف، ويريده بهم من الرفق»[١]، ومن ثم نبههم النبي- ﷺ- بقوله: « إِنَّكُمْ لَسْتُمْ فِي ذَلِكَ مِثْلِي» إلى أن مضاهاته، ومشابهته في العبادة غير ممكنة، وذلك لمكانته من ربه وقربه منه، حتى إنه في بعض روايات هذا الحديث وجه إليهم سؤالا: وأيكم مثلي؟[٢] أي على صفتي، ومنزلتي في أن من أكل منكم، أو شرب انقطع، وصاله، بل إنما يطعمني ربي، ويسقيني، ولا تنقطع بذلك مواصلتي ، فطعامي، وشرابي على غير طعامكم، وشرابكم صورة ومعنى، وهذا الاستفهام يفيد التوبيخ المشعر بالاستبعاد.

وقد أكد لهم القول بـ(إنَّ) المؤكدة، واسمية الجملة؛ تنزيلا لهم منزلة المتردد فيه مع أنهم غير مترددين، ولا منكرين له، ولكن تعجبهم، واستغرابهم، وإظهار المفاجأة عند صدور الحكم جعلهم في تلك المنزلة، فأكد لهم الخبر بأكثر من مؤكد؛ لتأنس نفوسهم به، وتتهيأ لقبوله، فيثبت

---

(١)المنتقى شرح الموطأ،٢/٦١.

(٢) الرواية تقول: يقول أبو هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ- عَنِ الوِصَالِ فِي الصَّوْمِ» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ: إِنَّكَ تُوَاصِلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «وَأَيُّكُمْ مِثْلِي، إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِ»، صحيح البخاري، كتاب الصوم، النهي عن الوصال في الصوم، حديث رقم١٨٦٤، ٢/٦٩٤.

المعنى في القلب، ويترسخ في الذهن مع ما في ذلك من الدلالة على صدق المصطفى- ﷺ- فيما جاء به، والإشارة إلى أهمية الخبر الذي يريد إلقاءه، وخطورته.

واستدل بقوله- ﷺ-: «إِنَّكُمْ لَسْتُمْ فِي ذَلِكَ مِثْلِي»، ومجموع الأحاديث الواردة في هذا الباب على أن الوصال من خصائصه- ﷺ- وعلى أن غيره ممنوع منه إلا ما وقع فيه الترخيص من الإذن فيه إلى السحر، ثم اختلف المنع المذكور، فقيل: على سبيل التحريم، وقيل على سبيل الكراهة، وقيل: يحرم على من شق عليه، ويباح لمن لم يشق»(١).

قال الإمام الخطابي- رحمه الله-: «الوصال من خصائص ما أبيح لرسول الله- ﷺ- وهو محظور على أمته، ويشبه أن يكون المعنى في ذلك ما يتخوف على الصائم من الضعف، وسقوط القوة، فيعجزوا عن الصيام المفروض، وعن سائر الطاعات، أو يملوها إذا نالتهم المشقة، فيكون سببًا لترك الفريضة»(٢).

وجملة: «إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي»، جملة تعليلية؛ لبيان الفرق بينه، وبينه، المانع من الأسوة فيه.

وقد جاءت مفصولة عن سابقتها(إِنَّكُمْ لَسْتُمْ فِي ذَلِكَ مِثْلِي)؛ لشبه كمال الاتصال، حيث أثارت الجملة الأولى في نفوس السامعين سؤالا مؤداه: لماذا لست مثلنا؟ فالاستئناف قد زاد النفوس تشويقًا ، وأفاض على المعنى

---

(١)ينظر، الخلاف في تلك المسألة في فتح الباري شرح صحيح البخاري ..٤/٢٠٥.

(٢)معالم السنن المؤلف : أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابي البستي (٢٨٨ هـ)، الناشر : المطبعة العلمية – حلب، الطبعة الأولى ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م،٢/١٠٧.

وضوحًا؛ ذلك أن " الجملة الأولى دائماً مكتنزة، فيها بعض الظلال، والغموض الخفيف ، إنها ليست واضحة جدًا بحيث يمكن الوقوف عليها، والسكوت عندها، بل تثير فيضًا من الاستفسارات، والاستفهامات، تثار حتمًا في نفس المتلقي، تجذبه، وتشركه في الصياغة ، ثم تأتى الجملة الثانية ، تجيب عن السؤال ، وتطفئ أشواق النفس ، أو تروى ظمأها ، وتشبع هذا التطلع العاطفي المجهول ، فيتأكد المعنى من الناحية العقلية ، وتتحقق المتعة النفسية ، وتشبع حاسة الفن والجمال»(١).

واختلف في معنى قوله- ﷺ-: « إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي» على أقول كثيرة(٢)، أصح ما قيل فيه إنه مجاز عن لازم الطعام والشراب، وهو القوة، فكأنه قال: « يعطيني قوة الآكل والشارب، ويفيض علي ما يسد مسدهما، ويقوي على أنواع الطاعة من غير ضعف في القوة، ولا كلال في الإحساس، أو المعنى: أن الله – تعالى- يخلق فيه من الشبع، والري ما يغنيه عن الطعام والشراب، فلا يحس بجوع ولا عطش»(٣).

وقد ختم النبي – ﷺ- الحديث الشريف بقوله: « فَاكْلَفُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ» وهو تذييل جار مجرى المثل قصد به بيان يسر المثل، وسماحته، ورفع المشقة عن الأنفس، وتحملها ما تطيق من أمور العبادة، وخوف الملل فيها، والتقصير فيما هو أهم، وأرجح من وظائف

---

(١)أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنية ، د/ صبّاح دراز – مطبعة الأمانة – مصر – ط : الأولى ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.،١١٥، ١١٦.

(٢)تراجع تلك الأقوال في كتاب فتح الباري:٤/٢٠٧، عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، للإمام بدر الدين العيني – ت : أ /عبد الله محمود محمد عمر – دار الكتب العلمية – بيروت – ط : الأولى ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م .٢٤/١٧.

(٣)فتح الباري:٤/٢٠٧، ٢٠٨.

الدين من القوة في أمر الله، والإتيان بحقوقها الظاهرة والباطنة، وشدة الجوع تنافيه، وتحول بين المكلف به وبينه.

وختم النبي- ﷺ- بتلك الجملة؛ لتكون آخر ما يستقر في السمع من الكلام المتعلق بهذا الشأن، ولتشد النفس على أزرها في الأخذ بما يتناسب مع طاقاتها.

ثالثا:

التحذير من كثرة الحلف في البيع.

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ- رضي الله عنه- أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ- يَقُولُ: « إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الْحَلِفِ فِي الْبَيْعِ، فَإِنَّهُ يُنَفِّقُ ثُمَّ يَمْحَقُ» (١)

الحديث الشريف في التحذير من أمر يشيع على ألسنة البائعين، ألا وهو كثرة الحلف بالله على ترويج السلعة، وتزيينها للمشتريين، وقد طرق النبي- ﷺ- بقوله:« إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الْحَلِفِ فِي الْبَيْعِ» آذان السامعين طرقة تنبيه؛ ليلفت انتباههم إلى ما سيلقي بعدها من أمر يجب الاحتراز عنه؛ لما يترتب عليه من الضرر الذي يلحق بالبائع والمشتري، فقوله- ﷺ-: «وَكَثْرَةَ الْحَلِفِ فِي الْبَيْعِ»، هو المحذر منه، ونصب كثرة فيه بالعطف على (إيَّا)، والمعنى أحذركم عن إكثار الحلف في البيع، وإنما حذرهم منه؛ «لأنَّ الغالب ممن كثرت أيمانه وقوعه في الكذب والفجور ، وإن سلم من ذلك على بعده لم يسلم من الحنث ، أو النَّدم ؛ لأن اليمين حنث، أو مندمة، وإن سلم من ذلك لم يسلم من مدح السلعة المحلوف عليها ، والإفراط في

(١)صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب النهي عن الحلف في البيع، حديث رقم(١٦٠٧)،٣/١٢٢٨.

تزيينها؛ ليروجها على المشتري ، مع ما في ذلك من ذكر الله- تعالى- لا على جهة التعظيم ، بل على جهة مدح السِّلعة ، فاليمين على ذلك تعظيم للسِّلع ، لا تعظيم لله – تعالى-، وهذه كلها أنواع من المفاسد لا يقدم عليها إلا من عقله، ودينه فاسد»[1] .

وقد نهى النبي- ﷺ-عن الكثرة مع أن القليل -أيضًا- محرم إلا أنه خرج مخرج الغالب؛ لأن كثرة الأيمان مظنة الوقوع في الكذب، وجملة التحذير فيها معنى الأمر، والمعنى على تقدير: « اتقوا الله، واحذروا كثرة الحلف»، ولا شك في أنها بذلك تثير في ذهن السامع سؤالا تقديره: لماذا تحذرنا من كثرة الحلف في البيع؟ فيأتي قوله- ﷺ-:« فَإِنَّهُ يُنَفِّقُ ثُمَّ يَمْحَقُ» المنزل منزلة الجواب مقترنا بالفاء؛ لتجعل الكلام مرتبا بعضه على بعض، وليس متولدًا بعضه من بعض، فما إن أورد النبي- ﷺ- تحذيره أعقبه ببيان علته، دعمًا، وتثبيتًا، وإقناعًا به، فقال: « فَإِنَّهُ يُنَفِّقُ ثُمَّ يَمْحَقُ».

وقد أفرغت جملة التعليل في قالب متين موثق، حيث جاءت الفاء السببية نصًّا في التعليل، وعبر بأم التوكيد(إنَّ)، وجاءت الجملة اسمية، و«الفاء السببية إذا سبقت بـ(إن) فإن الدلالة على التعليل تكون أقوى وآكد؛ وذلك لالتقاء رافدين من روافد العلية، الفاء، وإنَّ، وكل منهما يمنح التعليل من دلالته الوضعية عنصرا دلاليا آخر غير الذي يعطيه الآخر له، فالفاء تشرب معنى التعليل معنى التعقيب مثلما تشرب (إنَّ) معنى التأكيد،

(١)المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، الإمام أبو العباس القرطبي – ت : أ / يوسف بديوي ، وآخرون – دار ابن كثير – دمشق ، وبيروت – ط : الأولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٦ م ،١٣٧/١٤.

فيجمع التعليل المنبعث من فإنه معنيين: التعقيب، والتأكيد، وهذه الصيغة كثيرة الحضور في خطاب الشريعة: كتابا وسنة»[١]

ثم إنَّ في إيلاء الطلب بالتوكيد لمحة إيمانية، يستشعر معها المسلم رحمة ربه، وتكريمه له، أما الرحمة، فإن في ذكر علة الطلب ذكرًا مؤكدًا استمالة إلى الطاعة والامتثال، وأما التكريم، ففي العناية بتحريك الطاقة المفكرة في الإنسان، وتوجيه حواسة، وملكات نفسه إلى استجلاء ما وراء الطلب من مصلحة» [٢].

وإنما كرر النبي- ﷺ-كثرة الحلف عن طريق ذكره مضمرًا في قوله: «فَإِنَّهُ يُنَفِّقُ ثُمَّ يَمْحَقُ»؛ تأكيدًا على خطورته، وتنفيرًا من الإقبال عليه.

والتعبير بالفعل المضارع «يُنَفِّقُ» يساند الصورة وضوحا، وتأكيدا، ويفيد التجدد، والحدوث، والاستمرار؛ لأنه يضع المعنى بين يديك، ويستحضر لك صورة كثرة الحلف، وهي تروج السلعة، وترفع من قدرها في عيون الآخرين.

وإسناد الفعلين «يُنَفِّقُ»، و «يَمْحَقُ» إلى ضمير الحلف من باب المجاز العقلي؛ لعلاقة السببية؛ مبالغة في شأن الحلف؛ ولأنه عامل قوي من عوامل ترويج السلعة، إذ يحسنها، ويجملها في عيون في المشتري، كما يكون سببا قويّا في نزع البركة من المال الذي يحصل عليه البائع، وقد حذف مفعول هذين الفعلين في هذا السياق؛ للعلم بهما؛ ولأنهما معلومان

---

(١)سبل الاستنباط من الكتاب والسنة " دراسة بيانية ناقدة " ،د / محمود توفيق سعد – مطبعة الأمانة – ط : الأولى ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م،صـ٨٧.

(٢)الحركة الأسلوبية، د / عبد الرازق محمد فضل – رحمه الله – مطبعة الشروق – بدون ،صـ٢٢.

مشهوران بين المخاطبين من طرق أخرى أوردها أصحاب المسانيد(١)، والمصنفات، والنص كله في سياق واحد، لا يفهم جزء منه إلا في ضوء بقية النصوص، فما طوى هنا أشبع في مقام آخر؛ ومن ثم اكتفى النبي- ﷺ- بذكر الفعل؛ ليتوفر الكلام على إثبات الفعل للفاعل، يقول الإمام عبد القاهر- رحمه الله- بعد أن تحدث عن بلاغة حذف المفعول: «وهذا نوعٌ آخر منه، وهو أن يكونَ معك مفعولٌ معلومٌ مقصودٌ قَصْدُهُ، قد عُلِمَ أنه ليس للفعلِ الذي ذكرتَ مفعولٌ سِواهُ، بدَليلِ الحالِ ، أو ما سَبَق منَ الكلام، إلاَّ أنك تَطْرحُه، وتَتَناساهُ، وتدَعُه يَلزَمُ ضميرَ النفسِ، لِغَرضٍ غيرِ الذي مَضى، وذلك الغرضُ أن تتوفرَ العنايةُ على إثباتِ الفعلِ للفاعلِ، وتخلصَ له، وتَنصرف بجُملتها، وكما هي إليه»(٢).

وقد جاء العطف بـ(ثم) في حاق موضعه، فهي بما تقتضيه من ترتيب مع مهلة، وتراخ، تبرز مدة، وفاصلا زمنيا بين تنفيق السلعة، ومحق البركة، قال الطيبي- رحمه الله-: « ثم في قوله: «ثم يمحق» يجوز أن

---

(١): مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد وصبري عبد الخالق الشافعي ، ناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م)، ونص الرواية عنده، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- , قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إياكم والحلف فإنه ينفق السلعة، ويمحق أحسبه قال البركة»،١٠١/١٧.

(٢)دلائل الإعجاز في علم المعاني: لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)،تحقيق: محمود محمد شاكر أبي فهر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م، صـ١٥٦.

تكون للتراخي في الزمان، يعني وأن أنفق اليمين السلعة حالاً، فإنه يذهب بالبركة مآلا، ويحتمل أنها تكون للتراخي في الرتبة، يعني أن محقه البركة حينئذ أبلغ من الإنفاق، والمراد من محق البركة عدم انتفاعه به ديناً ودنيا، أو أعمَّ»[1].

هذا المحق: قيل: « إنه هذا المحق هو في الآخرة ، كما تربو الصدقة حتى تأتي مثل أحد، وذلك يمحق الربا حسناته، إمَّا برجحانه عليه في الميزان، أو بهذا من أجلها، أو لأن من تصدق به، أو أكل من الربا لا يؤجر فيه، كذلك إثمان لما أخره بالحلف الفاجر، وزين به سلعته، وحلف أنني أعطى فيهما ما لم يعط، وغر بذلك كله أخاه المسلم، وقيل: بل المحق في الدنيا والآخرة ممحقة في الدنيا ترفع البركة منه، أو تكون لتسليط الجوائح عليه حتى يمحق»[2]

رابعا:

التحذير من ذبح الحلوب.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: « خَرَجَ رَسُولُ اللهِ- ﷺ- ذَاتَ يَوْمٍ - أَوْ لَيْلَةٍ - فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ: «مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟» قَالَا: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللهِ،، قَالَ: «وَأَنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَخْرَجَنِي الَّذِي

---

(١)**شرح الطيبي على مشكاة المصابيح** ،ت. د / عبد الحميد هنداوي . مكتبة نزار الباز . مكة المكرمة . ط أولي ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م . ،٢١١٦/٧.

(٢)إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم: لعياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبي الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، تحقيق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل لناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م،٣١١/٣.

أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا»، فَقَامُوا مَعَهُ، فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ، قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ – ﷺ–«أَيْنَ فُلَانٌ؟» قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا مِنَ الْمَاءِ، إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ – ﷺ–وَصَاحِبَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي، قَالَ: فَانْطَلَقَ، فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ، فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ، وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ – ﷺ–: «إِيَّاكَ، وَالْحَلُوبَ»، فَذَبَحَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا، قَالَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ–لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ » (١)

موضع النظر في هذا الحديث في قول النبي– ﷺ–للصحابي الأنصاري: «إِيَّاكَ، وَالْحَلُوبَ»، الذي جاء عقب رؤية الشفرة بيده ليذبح لهم الشاة، وقد ابتدأه – ﷺ–بأسلوب التحذير (إياك) التي تعمل على انتفاضة السامع من مشاغله وشواغله، وتثير انتباهه، وتنشط عقله للوقوف على المحذور منه، حتى إذا أدركه اجتنبه، وابتعد عنه، فبمجرد أن تقرع تلك اللفظة أذن السامع يفزع، ويقلق، ويتأهب من الأمر المحذر منه، بل إنه يكون في قمة عالية من التركيز؛ لأن الخطاب موجه إليه مباشرة، وهذا أدعى ترك المحذر منه.

(١)صحيح مسلم، كتاب الأشربة، بَابُ جَوَازِ اسْتِتْبَاعِهِ غَيْرَهُ إِلَى دَارِ مَنْ يَثِقُ بِرِضَاهُ بِذَلِكَ، وَبِتَحَقُّقِهِ تَحَقُّقًا تَامًّا، وَاسْتِحْبَابِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى الطَّعَامِ، حديث رقم(٢٠٣٨)،٣/١٦٠٩.

وقوله – ﷺ–:««إِيَّاكَ، وَالْحَلُوبَ» » أصله: احذر تلاقي نفسك، والحلوب العامل وجوباً وفاعله، ثم المضاف الأول، وأنيب عنه الثاني فانتصب، ثم الثاني، وأنيب عنه الثالث، فانتصب، وانفصل لتعذر اتصاله.

والواو في قوله: « وَالْحَلُوبَ » حرف عطف، والحلوب مفعول به لفعل محذوف: تقديره: اجتنب الحلوب.

وإنما حذف الفعل، وكذلك الفاعل من هذا الأسلوب؛ إيجازا في التعبير، وتعويلا على ذكاء السامع، وقوة بديهيته في إدراك الفهم، وقصدا إلى اجتناب المحذور مباشرة، وكأن المقام ضاق عن اتساع ذكره؛ حرصا على من النبي– ﷺ–أن يقذف إليه الخبر بسرعة حتى يبادر المخاطب إلى ترك المحذر منه.

وقد حذف المفعول الموصوف من قوله: « والحلوب»، إذ دلت عليه القرينة، واقتضاه المقام، والتقدير: احذر ذبح شاة ذات لبن، وإنما حذف الموصوف؛ مبالغة فيه، وبيانا لشأنه، وتعظيما لأمره، وتسليطا الضوء عليه، وقد نهاه النبي– ﷺ–عن ذبح ذات الدرِّ؛ « شفقة على أهلها بانتفاعهم باللبن مع حصول المقصود بغيره، ومن ثمة لو لم يكن عنده إلا هي لم يتوجه هذا النهي إليه على أن الظاهر أنه نهي إرشاد، وملاطفة، فلا كراهة في المخالفة؛ لأنه زيادة في إكرام الضيف، وإن أسقط حقه بصدور نحو ذلك النهي منه، لكنه امتثل الأمر»[1].

---

(١)جمع الوسائل في شرح الشمائل، لعلي بن (سلطان) محمد، أبي الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى : ١٠١٤هـ)، الناشر : المطبعة الشرفية – مصر ، طبع على نفقة مصطفى البابي الحلبي، بدون تاريخ ،١٩٢/٢.

والحلوبَ بفتح أوله: أَي ذاتَ اللَّبَنِ. يقالُ: ناقةٌ حلوبٌ أَي هِيَ مِمَّا يُحلَب؛ والحَلوبُ والحَلوبةُ سواءٌ؛ وَقِيلَ: الحلوبُ الاسمُ، والحَلُوبةُ الصِّفَةُ؛ وَقِيلَ: الْوَاحِدَةُ وَالْجَمَاعَةُ(١).

، وأل في كلمة الحلوب للجنس؛ ليشمل التحذير كل شاة اتصفت بذات در، والمعرف بلا الجنس كالنكرة في المعنى، «واستغراق المفرد أشمل من استغراق الجمع» (٢).

خامسا:

التحذير من الدخول على النساء

عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ–قَالَ: « إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ »، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ قَالَ « الْحَمْوُ الْمَوْتُ » (٣).

الحديث الشريف يحرم الخلوة بالمرأة الأجنبية؛ تجافيا عن الإثم، وتفاديا للخطر، وإغلاقا لنوافذ الفتنة، والغواية ، فحذر من الدخول على النساء؛ لأن فتنتهن تؤدي إلى هلاك الدين، فينبغي الحذر منها كما يحذر الإنسان من الموت.

---

(١)لسان العرب : مادة:(حلب).

(٢)ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني – ت : د / عبدالقادر حسين – مكتبة الآداب – القاهرة – ط : الأولى ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م . ،صـ٧٤.

(٣) صحيح البخاري، كتاب النكاح، بَابُ لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا ذُو مَحْرَمٍ، وَالدُّخُولُ عَلَى المُغِيبَةِ، حديث رقم٥٢٣٢، ٣٧/٧. وصحيح مسلم في السلام باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها، حديث رقم ٢١٧٢، ١٧١١/٢.

وقد ابتدأ النبي- ﷺ-الحديث بأسلوب يبث في نفوس المخاطبين الرهبة، ويبعث على الخوف، وعدم الطمأنينة من المحذور، ويدعو المتلقي إلى الابتعاد عما نهى عنه، ألا وهو أسلوب التحذير بـ«إيَّاكم»، تلك اللفظة التي عملت على تنبيه المخاطب إلى ما يجب أن يجتنبه، ويتخلى عنه، ويخشى سوء عاقبته، حيث نبهت، وحذرت أشخاص المسلمين من الدخول على النساء الأجنبيات؛ خشية الفتنة بهن، ودرء للمفاسد التي يمكن أن تحصل بالدخول عليهن.

و «إيَّاكم» مفعول به لفعل محذوف وجوبا: تقديره: «اتقوا أنفسكم واحذروا الدخول على النساء»، وإنما حذف الفعل في هذا السياق؛ تعويلا على القرينة؛ لأنه« لما كثر التحذير بـ «إِيَّاكُ» جعلوه بدلا من اللفظ بالفعل، والتزموا معه إضماره، ولدلالة الحال عليه، وظهور معناه، وصار ظهور العامل من الأصول المرفوضة»(١).

كما أن في الحذف إيجازا في العبارة، وتصفية لها، وإسراعا إلى الغرض المقصود من الكلام، وهو التنبيه على المحذور منه؛ كي تأخذ النفوس حذرها منه، وابتعادها عنه؛ خوفا من الوقوع في الفاحشة؛ لأن النفوس ضعيفة، والدوافع قوية، إذ في الحذف يتنبه المتلقي، ويتجدد نشاطه بحثا عن المحذوف, فإذا ما وصل إليه بنفسه استقر المعنى في ذهنه» (٢).

والواو في قوله- ﷺ-:(والدُّخُولَ) هي واو العطف، وما بعدها معطوف على محذوف مقدر تقديره: أحذركم واحذروا الدخول على النساء.

---

(١)شرح المفصل، لموفق الدين يعيش بن علي بن يعيش (ت٦٤٣ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م،٢/٢٥.

(٢)الحذف البلاغي في القرآن الكريم، صـ٧.

وأل في كلمة(والدُّخُولَ) للجنس، فتفيد استغراق التحذير، وشموله لجميع ما يسمي دخولا، وذلك لأن الدخول يتولد من خلاله اختلاط محرم يفضي إلى الوقوع في المحرم، ولأن اجتماع الرجل مع المرأة الأجنبية ليس اجتماعا ثنائيا، إنما يكون الشيطان ثالثهما، فيقوم بالإغواء والإغراء بالفعل المحرم؛ لذا حذر النبي- ﷺ- من خطر الدخول على النساء الأجنبيات بدون محرم منهن، وأشد ما يكون الخطر يكون من أقارب الزوج إذا دخلوا على المغيبة، فإن ذلك فإن يدعو إلى الفواحش، وحصول المنكرات، والوقوع في المحرمات، وهذا أمر يتحاشاه المجتمع النظيف الطاهر البريء السالم من الفواحش، وهو أمر يحرص النبي- ﷺ-على تطهير أمته منه.

وقد جاء الدخول مقيدا بحرف الاستعلاء(على)؛ وذلك لأنه الأصل فيه، ولأن الدخول على النساء الأجنبيات يتسبب في الغالب تخطي حدود الحرمات، وفعل المنكرات، والجرأة على هتك الأعراض، ورفع الستور، وكسر الحواجز، والوقوع في المحرمات بسبب ما يحدثه الشيطان في النفوس، وما يفعله بالعقول من الإغواء والإغراء، فناسب ذلك التعبير بحرف الجر على؛ لكون الداخل على النساء بدون محرم لهن يعلو الحدود، ويستعلي عليها، ولهذا نهى عن الدخول على النساء؛ كل هذا لسد الذريعة المفضية إلى الحرام.

والمراد بالنساء في قوله- ﷺ-: « إياكم والدخول على النساء» هنا غير المحارم؛ لأن المحارم لا مانع من الخلوة بهن، فالرجل يخلو بأمه، وبابنته، وبأخته، وببنت أخيه، وبعمته، وخالته، ونحوهن، ولا تحدثه نفسه بالميل إليهن، ولا بمقارفة فعل الفاحشة معهن، ولا يفعل ذلك إلا أفسق الناس،

وأفجرهم، وإن وقع من أفراد فلا يكونون عبرة، إنما المراد إذا كان أجنبيًا عن هذه المرأة، حتى ولو كانت من أقاربه كابنة عم، وابنة خال، وكذلك زوجة أخ، أو أخت زوجة، أو نحو ذلك، فهذه لها قرابة، وهذه لها مصاهرة، وبعض الناس يتجرأ على أن يدخل في بيت أخيه، وليس فيه إلا تلك المرأة، ويتجرأ -أيضًا- على دخول بيت عمه، أو خاله، وكذلك بيت أخيه، ويخلو بزوجة أخيه، أو بأخت زوجته، أو نحوهن، ويدعي أنه من أهل البيت، وأنه لا محذور في خلوته بها، فتراه لا يستنكر أن يطرق باب أخيه، فتفتح له تلك الزوجة فيدخل، وقد لا يكون عندها أحد، وهذا هو المحذور»[1].

ولما كان في علاقة المرأة بأهل زوجها من المساهلة، وكثرة الاختلاط، ما يعطي لأقرباء الزوج ذريعة الدخول على زوجته بلا استئذان سأل ذللك الرجل من الأنصار رسول الله- ﷺ-عن الحمو، هل يسمح له، ويستثنى من ذلك التحذير من الدخول على النساء، فرد رسول الله- ﷺ- بهذا الجواب القاطع والوعيد الرادع الذي لا مجاملة فيه، ولا مساهلة، ولا خشية، ولا محاباة قائلا: الحمو الموت.

وحمو الموت: أبو زوجها وأخوه، وكل ما كان من قبله[2]، وقصره النووي(رحمه الله) على أقارب الزوج غير الآباء والأبناء، فقال: « المُرَاد من الحمو فِي الحَدِيث أَقَارِب الزَّوْج غير آبَائِهِ وأبنائه لأَنهم محارم للزَّوْجَة يجوز لَهُم الْخلْوَة بهَا، وَلَا يوصفون بِالْمَوْتِ. قَالَ: وَإِنَّمَا المُرَاد: الْأَخ وَابْن

(١)شرح عمدة الأحكام ،لعبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن جبرين، قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية،٦٠/٣٠.

(٢)لسان العرب. مادة(حما).

الْأَخ وَالْعم وَابْن الْعم وَابْن الْأُخْت وَنَحْوهم مِمَّن يحل لَهَا تزوجيه لَو لم تكن متزوجة»[١].

هذا التخصيص من النووي(رحمه الله) لعموم معنى الحمو نرى وراءه مراعاة لمكانة الآباء، والأبناء، وتنزههم عن التعرض لحرمات آبائهم وآبائهم، كما أنه قد يراد من اللفظ العموم، ويحمل ذلك على المبالغة في التحذير، فإذا كان التشبيه في أب الزوج، فكيف بغيره.

أما غير المحارم من الأخوة، وأبنائهم، والأعمام وأبنائهم، فقد تحملهم أنفسهم على إفساد العلاقة بين أخيهم وبين زوجته، ويمكنهم ذلك من كثرة المخالطة لها، وتمكنهم من الوصول إليها، والخلوة بها من غير أن ينكر عليهم، بخلاف الأجنبي فذلك أشد صعوبة عليه منهم؛ لذا كان التحذير من الحمو أشد، فأقام التحذير منه على التشبيه البليغ، فقال: « الْحَمْوُ الْمَوْتُ »؛ لقوة المشابهة بينهما، ففي ذلك الحمو من الشر، والفتنة ما ليس في غيره، ولذا قال الزمخشري(رحمه الله): « شبهه بالموت؛ لأنه قصارى كل بلاء، وشدة، وذلك أنه شر من الغريب من حيث إنه آمن مدل، والأجنبي متخوف مترقب»[٢]، كما أن في دخوله عليهن من الفتنة

---

(١)المنهاج في شرح صحيح مسلم ،١٤/١٥٤.

(٢)الفائق في غريب الحديث والأثر للإمام الزمخشري . تحقيق/ علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعرفة . لبنان . ط: الثانية،١/٣١٨.

،والهلاك ما يفضي إلى الموت على حد قول العرب: الأسد الموت، أي في لقائه الموت، والسلطان النار، أي في قربه، إذا أرادوا الشدة والتغليظ[١].

وقد يكون المراد بالموت(موت الدين)، أو موتها بطلاقها من غيرة الزوج، أو برجمها إن زنت معه[٢]، ففي هذا التشبيه من التحذير من دخول أقارب الزوج من غير الآباء، والأبناء على الزوجة ما ليس في غيره، كما فيه بيان لعاقبة أمر ومآل هذا المتساهل في الدخول على النساء من غير محارمه، فليس له مصير إلا الموت وكان في تعريف الطرفين باللام في قوله:(الحمو الموت) قصر لهذا على ذاك، وكأنه هو وليس شيئا يشبهه، ولذا أصاب هذا التشبيه حاق المعنى، وأدى الغرض المقصود في إبراز الحكم، وتقريره على الوجه الأكمل، ولو رمت إثبات ذلك الحكم من النهي عن الدخول على النساء من غير المحرمات، والتحذير منه بطريق غير الذي جاء به في كلامه- ﷺ-لما وجدت إلى ذلك سبيلا.

وقد رأينا رسول الله- ﷺ- يذهب في هذا الحديث إلى تشبيه المحسوس (الحمو) بالمعنوي(الموت)، وهذا على خلاف المشهور في التشبيه من تقريب المعقول إلى الأذهان بتشبيهه بالمحسوس إلا أن المشبه به هنا، وإن كان معنويا، فهو أظهر ما يكون عند كل إنسان، وعلم الناس به أقوى من علمهم بالكثير من المحسوسات، فليس في التشبيه خروج من جلي

---

(١)مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ٢٢٦٩/٧.

(٢)المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم،٥/صـ١٠٥، ٢٠٥.

إلى خفي، بل من جلي إلى ما هو أشد جلاء من كل محسوس لدى كل نفس توقن أنها هالكة والناس كلهم على يقين بذلك, ولذلك جُعل الموت أشد وضوحا في النفس من الحمو الذي يتسامح في دخوله على النساء فشبه به، وصار دليلا على عظيم خطره، وشدة فتنته وبؤسه.

سادسا:

التحذير من الجلوس على الطرقات

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–، عَنِ النَّبِيِّ – ﷺ– قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ»، فَقَالُوا: مَا لَنَا بُدٌّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ: «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجَالِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا»، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: «غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلاَمِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ»[1]

ينهى رسول الله– ﷺ– في هذا الحديث الشريف المسلمين الجلوس في الطرقات؛ حسما لمادة الشر، وسدًا لأبواب الفساد، ولئن كان في ذلك شيء من المصالح، فالقاعدة تقول: إن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، وإن امتنع أحد إلا الجلوس، فلا حرج عليه إذا عرف حق الطريق، وقام به من غض للبصر عن المحرمات، وكف للأذى عن المارة باللسان، واليد، ورد للسلام، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر.

---

(١)صحيح البخاري، كتاب المظالم، بَابُ أَفْنِيَةِ الدُّورِ وَالجُلُوسِ فِيهَا، وَالجُلُوسِ عَلَى الصُّعُدَاتِ، حديث رقم٢٤٦٥،٣ /١٣٢.، وصحيح مسلم، كتاب السلام، بَابُ مِنْ حَقِّ الْجُلُوسِ عَلَى الطَّرِيقِ رَدُّ السَّلَامِ، حديث رقم٢١٦١، ١٧٠٣/٤.، واللفظ للبخاري.

وقد بدأ النبي- ﷺ- حديثه بقوله: «إياكم»، وهو أسلوب تحذيري ترتجف منه قلوب المخلصين، وترتعد منه أفئدة المتقين؛ لأنه يدلل على الخطر قبل وقوعه، وينبه عليه قبل وصوله.

وإنما صدر- ﷺ- حديثه بتلك الصيغة القوية؛ لما يشع منها من معان تناسب المقام، وتطابق مقتضى الحال، منها التعجيل والإنذار، وإعلان الخطورة؛ ليلتفت السامع، وينتبه إلى المحذر منه بكل ما يملك، والتعجيل في هذه الأداة مستفاد من بنائها على إيجاز الحذف، حيث حذف منها الفعل والفاعل معا، ثم حذفهما مرة أخرى مع الاسم الظاهر بعدها تبين حرص المتكلم بالحذر الشديد في تنبيه السامع، ولفت ذهنه إلى خطر ما يلقي عليه، كما تبين حرصه عليه بسرعة المبادرة[1] بالحذر، والابتعاد، ودفع الضرر؛ لأنه- ﷺ- يدرك خطورة تلك المجالس التي كثيرا ما ترتكب فيها الحماقات، وتدبر فيها المؤامرات، بل وتتردد فيها الإشاعات، وتنتهك فيها الحرمات، لذلك حذرهم؛ خوفا عليهم، وتحصينا لهم ضد أهوائهم، وغرائزهم النفسية التي قد تعيدهم إلى ما كانوا عليه في الجاهلية التي أنقذهم منها رسول الله- ﷺ-.

ومن بلاغة تلك الصيغة التعبيرية الإثارة، والتشويق إلى ما يأتي بعدها من معان مهمة؛ ليتمكن في النفس فضل تمكن، ويستقر في الذهن.

وقد بناها النبي- ﷺ- على الخطاب؛ اقترابا من المخاطب، وإقبالا عليه، استمالة، وحضا على الاستجابة، كما جاء في صورة الجمع؛ تعميما للتحذير، ونشرا لمعناه.

(١)الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية . د/ كمال عز الدين السيد . صـ١٦٥.

وهذا الأسلوب من أساليب الإنشاء؛ «لأنه ورد بأسلوب التحذير الذي يشتمل على الأمر- العامل المحذوف- ، والغرض منه تعليم الأمة أدبا من الآداب العامة التي يجب عليها أن تسلكه في حياتها منعا لإلحاق الضرر بالآخرين» (١).

والواو في قوله: «والجلوس» واو العطف وهي دليل على محذوف مقدر، والتقدير: أحذركم، واتقوا الجلوس، واتركوه على الطرقات(٢)، وأل في كلمة الجلوس للجنس، فتفيد استغراق التحذير وشموله لجميع أنواع المجالس، سواء التي يقع فيها اعتداء على المارة أم لا؛ وذلك الجالس في الطريق قلما يسلم من سماع ما يكره، أو رؤية ما لا يحل، فيكون ذلك سببا للوقوع في المخالفة والمعصية، ومن ثم جاء النهي عن الجلوس في الطرقات ابتداء؛ إغلاقا لباب الشر، قال صاحب فتح المنعم: « والحكمة في ذلك سد الذرائع؛ لأن التعرض للمحرمات يوقع فيها، فندبهم الشارع إلى ترك الجلوس حسما للمادة» (٣).

وتخصيص الجلوس بالذكر من باب التنبيه بالأعلى على الأدنى، ولأن مظنة الإيذاء منه أقوى، والثلمة فيه أنكى، فكان تسليط التحذير عليه أولى، وذلك لما في الجلوس من الارتفاع، والغلظة، والثبات، والملازمة،

---

(١)من بلاغة الحديث النبوي ، د / محمد أحمد سحلول – دار الاعتصام – القاهرة – سنة ١٩٩٩م . صـ١٦٥.

(٢)عمدة القاري شرح صحيح البخاري، الإمام بدر الدين العيني – ت : أ /عبد الله محمود محمد عمر – دار الكتب العلمية – بيروت – ط : الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م،١٣/١٣.

(٣)فتح المنعم شرح صحيح مسلم ، د / موسى شاهين لاشين – دار الشروق – ط : الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، ٤٠٦/٨.

وطول المكث[١]، وأنه يكون عن نوم واضطجاع[٢]، وتلك الأمور تجعل الجالس أكثر كشفا لعورات الناس، وأعظم تسلطا، وتضييقًا عليهم، وإحراجًا، وإضرارًا لهم.

وقد جاء الجلوس مقيدا بحرف الاستعلاء(على)؛ لأن ذلك هو الأصل فيه[٣]، لأن الجالس يستعلي ظهر الطريق، ويستوي عليه؛ مراعاة لما في معنى الجلوس من الارتفاع، والاستشراف، ودليلا على أن الإرشاد- هنا- مقصود به الأماكن البارزة، والمعالم الواضحة التي لا غنى للناس عن المرور بها.

وقد ورد الحديث بروايتين أخريين الأولى بالطرقات[٤]، والأخرى في الطرقات[٥]، وقد قال غير واحد من الشراح أن الباء بمعنى في بمعنى في الطرقات، ولا شك أن التنويع في الحروف يؤدي إلى اختلاف المعاني كل بحسب وضعه في اللغة، فالباء تفيد الملاصقة، والمخالطة، والملابسة[٦]،

---

(١)لسان العرب، مادة(جلس).

(٢)مقاييس اللغة، لابن فارس – ت : أ / عبدالسلام هارون – دار الفكر – سنة ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩م،٤٧٣/١.

(٣)فتح المنعم شرح صحيح مسلم،٤٠٥/٨.

(٤)صحيح البخاري، كتاب المظالم، والغضب، باب أفنية الدور والجلوس فيها، والجلوس على الصعدات، حديث رقم٢٤٦٥، وصحيح مسلم، كتاب السلام، باب من حق الجلوس على الطريق رد السلام، حديث رقم٢١٦١، ١٧٠٤/٤.

(٥)صحيح مسلم ، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن الجلوس في الطرقات، حديث رقم ٢١٢١.،١٦٧٥/٣.

(٦)الجنى الداني في حروف المعاني ،لابن قاسم المرادي – ت : د/ فخر الدين قباوة ، أ/ محمد نديم فاضل – دار الكتب العلمية – بيروت – ط : الأولى ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م .صـ٣٦.

ومن ثم فهي توحي بقوة التربص، والتلبس بالطرقات، فدلالة الإيذاء فيها أوسع من غيرها؛ لأنها تجعل التحذير شاملا لأطراف الطرقات، وحواشيها حتى على أسطح البيوت، وأفنيتها، فطالما يصل إيذاؤه إلى الناس في الطريق، فهي تشمله.

أما الرواية التي ذكرت حرف الجر(في) فتكون دلالتها أبلغ إيذاء وأشد ضررا؛ لأنها بما تفيده من الظرفية والوعاء، تدل على تمكن الجالس واستقراراه في الطريق؛ لأنه إنما يجلس في وسطه، وعمقه، وأثنائه، وعلى ظهره، وعرضه، فيعترض بذلك الطريق، ويعطل مرور الناس، وحركتهم فيه.

والفرق بين التعبير بـ(في) و(الباء) في أن حرف الظرفية يتلاءم مع كل ما يراد به الدلالة على التمكن، والاستقرار، والضرب في أعماق الشيء، والتغلغل في أطوائه؛ استمدادا من إحاطة الظرف بمظروفه، واحتوائه له، واشتماله عليه في حين يستجيب حرف الإلصاق لكل غرض يراد منه مطلق التلبث، والمصاحبة لأي جزء من أجزاء الملتصق به دون الدلالة على الدخول في أعماقه، والاختفاء فيه(١).

وقد سوغ تناوب التعبير بتلك الأحرف تقارب دلالتها، وتداخل معانيها، فأكثر الحروف التباسا بحرف الاستعلاء، وأشدها قربا منه هو حرف الوعاء، وكذلك الباء قد تخلع معنى الإلصاق، وتفارقه؛ لتدل على الظرفية(٢).

---

(١)من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم . د / محمد الأمين الخضري مكتبة وهبة – ط : الأولى ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩ م، صـ١٨٨، ١٨٩.

(٢)من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم ، ١٨٧.

وقد وضعت تلك الجملة:(إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطُّرُقَاتِ) في صدر الكلام؛ لأنها تهيئ السامع لتلقي أمرا مهما؛ ولأنها أصل المعنى في الحديث وجذره، وما بعدها توليد واستمداد منها، وتفريع، وتنويع عليها، وتفصيل، وتوسيع لدائرتها؛ لما تثيره في نفوس الصحابة- رضي الله عنهم- من تساؤلات عدة، يستشرفون إلى تجليتها، وتوضيح مقاصدها؛ لذا تلقى الصحابة- رضي الله عنهم- هذا التحذير من النبي- ﷺ-بصيحات عالية استفسارا، واسترجاعا فيما يحذرهم منه، فقالوا:(مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا)، ويفهم من هذا الجواب أن النهي للتنزيه؛ لئلا يضعف الجالس عن أداء الحق الذي عليه، أو أن النهي لمعنى متصل بالمجالس لا لنفسها وذاتها، ولذا كانت المراجعة.

ولك أن تتأمل كيف جاء رد الصحابة – رضي الله عنهم- سريعا هادئا متأدبا بأدب الإسلام، فقالوا: (مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا)، والتعبير بحرف النفي(ما) فيه دلالة على تأكيد رغبتهم القوية في الجلوس على الطرقات؛ لأنها مجالسهم التي لا غنى لهم بها.

واللام في قوله- ﷺ-: (لنا)، تفيد التخصيص، ويتناسب مع دلالتها القصر عناية واهتماما، وإظهارا وتحقيقا لذلك الغرض الذي تعلقت بهم، وتشويقا، وبعثا لهمة السامع، ونشاطه.

وكلمة(بد)[1] من الكلمات الحية التي توحي بكثير من المشاعر، والإيحاءات، فهي تعبر عن رغبتهم العارمة، وحرصهم الأكيد، ونزعتهم الملحة في الجلوس على الطرقات في محل حديثهم، وموطن اجتماعهم،

(١)البد في اللغة: الفراق، والعوض، يقال: لابد منه، أي لامحالة، ولا فراق منه، ولا عوض منه، لسان العرب(بدد).

فالكلمة بهذا المعنى الثري، والجرس القوي، والمقطع المغلق تدل على استغلاق الأمر على الصحابة، وانتفاء قدرتهم عن ترك تلك المجالس،؛ لشدة ارتباطهم بها.

وقد جاءت جملة القصر:(إِنَّمَا هي مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا)؛ لتضاعف من توكيد الجملة السابقة، فهي بمنزلة التوكيد المعنوي، فهي تدل على أنهم لا يفارقون تلك الطرقات؛ لأن فيها المجالس التي يتحدثون فيها، ومن ثم ترك العطف بين الجملتين؛ لأن الجملة الثانية قد تولدت من رحم الأولى، وانبثقت منها، فتشارب الكلام، وتداخلت الجمل، استقصاءًا يعين على بسط العذر، وعرض المسألة، وتصعيدًا يكشف عن استعار الرغبة في التخفيف، ورفع المشقة.

وجاءت(إنما) في حاق موضعها؛ لأنها بجرسها، وغنتها، وقوتها، ودلالتها لا تكون إلا في المواقف الهادئة الناعمة دون ثورة أو جلبة، أو ثورة، إنها تتصدر الحقائق، والأفكار، والمشاعر، والموقف التي تبعث فيها حياة جديدة، وتسوقها إلى النفس المتلقية سوقا هادئا، وتطبعها بتؤدة وريث[1]، وهذا ما يتناسب مع أدب الصحابة في حوارهم مع الرسول- ﷺ- ، وما يعكس ثقتهم فيما عنده- صلة الله عليه وسلم- من استجابة وتلبية.

والشأن في (إنما) أن تجئ لخبر لا يجهله المخاطب، و لا يدفع صحته، أو لما ينزل هذه المنزلة، ولذا أتى بها الصحابة؛ ليجعلوا جلوسهم في الطرقات من المعاني المشهورة التي لا تقبل شكا، أو ترددا، أو إنكارا.

---

(١)أساليب القصر في القرآن الكريم و أسرارها البلاغية، د/ صبّاح دراز – مطبعة الأمانة – مصر – ط : الأولى ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م،صـ٢١٨.

وعند النظر في الجملة السابقة(ما لنا بد) نجد ممهدة لها مفصحة عن معنى ما دخلت عليه، فـ« فالكلام السابق عليها في أكثر الأساليب كأنه تهيئة للفكرة التي دخلت عليها، وتمهيدا لها، وتجد هذا التمهيد يقوى حتى لتكاد النفس اليقظى، والفهم المتسارع يدرك الفكرة التي دخلت عليها قبل قراءتها أو سماعها» (١).

وبعد هذا التمهيد القوي، والحوار المثير بين الصحابة- رضوان الله عليهم- ونبيهم يمضي النبي- ﷺ-إلى غايته معلنا عن حاجته، فيقول:(فإذا أبيتم إلا المجالس، فأعطوا الطريق حقها)، ومجيء الفاء مقترنة بأداة الشرط ربط بين معاقد الكلام، وإضفاء على كلامه- ﷺ-مزيدا من السبك والإحكام، وإشارة إلى أن أسلوب الشرط مسبب عما قبله مرتب عليه، وأنه جاء في أثره ولوجا إلى الهدى الرشيد، وخلوصا إلى المسلك الحميد الذي ينبغي أن يتبع، وبذلك تكون الفاء قد طوت كل ما ذكر قبلها من مقدمات، ثم استحضرت تلك النتيجة اللازمة التي وعاها أسلوب الشرط في نمط تعبيري مثير ومشوق يزف البشرى، ويحمل في طياته ملامح التخفيف والتيسير والفرج؛ لأنه يتضمن حكما خاصا غير أنه الذي أطلق أولا، يستجيب لأولى الأعذار، والضروريات حلما منه- ﷺ-ورحمته بهم.

والنبي- ﷺ-لا يحرص على الإتيان إلى المجالس حتى يرد الأسلوب مصدرا بـ(إذا) الشرطية التي تفيد تحقق وقوع غالبا، فكان مقتضى الظاهر أن يقيد الكلام بـ(إن)؛ لتتناغم بدلالتها الظنية والمبعدة مع التحذير

(١)دلالات التراكيب " دراسة بلاغية " ،د / محمد أبو موسى – مكتبة وهبة – ط : الثالثة ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م،صـ١٥٧.

والترهيب من تلك المجالس، ولكن الكلام جاء على خلاف مقتضى الظاهر للطيفتين بلاغيتين أولهما تأكيد حصول جواب الشرط إيحاء بأن جزاء الشرط إعطاء الطريق حقه، واجب نافذ في حالة تحقق فعل الشرط الإتيان إلى المجالس، وبذلك يكون القطع بالجزاء مترتبا على القطع بالشرط، وقد ناسب ذلك التعبير بالفعل الماضي(أبيتم)؛ «لأن صيغة الماضي تلقي على الأحداث طابع الحكاية المروية، فمسألة الوقوع وعدمه ألغاها الفعل الماضي حين صيرها واقعا يروى، ونقلها من الممكن الذي سيكون، كما أن لفظ الماضي الذي لا يدع الخاطر يحوم في أفق الانتظار، وإنما يلج به قلب الحقيقة التي شملته وأحاطت به»[١].

ثانيهما: الإشارة إلى أن الإنسان مدني بطبعه يحب الاختلاط والمعاشرة، سواء في الشارع، أو في السوق، أو في الأماكن العامة، وتلك اللمحة البلاغية تتفق مع ما يلاحظ في (إذا) الشرطية من الدلالة على التكرار والعموم.

والمجالس جمع مجلس، وهو موضع الجلوس، قال ابن حجر: «والمجالس فيها استعمال المجالس بمعنى الجلوس» [٢]، ولا يستقيم ذلك إلا على سبيل المجاز المرسل لعلاقة المحلية؛ حيث أطلق المحل(المجالس)، وأريد الحال فيها، وهو الجلوس؛ مبالغة في سعة تلك المجالس، واحتوائها لجالسيها، حتى عظم الافتقار إليها ذاتها، واشتد التعلق بها نفسها، ويتسق مع ذلك مجيء الكلمة جمعا دلالة على الكثرة، والتعدد.

---

(١)خصائص التراكيب " دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني "، د / محمد أبو موسى ،صـ٢٦٨.

(٢)فتح الباري،٥/١٦٠.

وأل في الكلمة للعهد للذكرى؛ لأنها تشير إلى مذكور قبلها، ومن شأن ذلك أن يربط الأسلوب بعضه ببعض، وأن يجعله نابضا بالحياة، موقظا للذهن، جذبا للانتباه.

ثم تأتي جملة جواب الشرط (فأعطوا الطريق حقها) بعد أن تنبهت إليها العقول، وتيقظت لها القلوب، وقد اقترنت بفاء الربط؛ لأنها لا تصلح لأن تقع موقع الشرط، لكونها جملة فعلية طلبية، وردت بصيغة الأمر، والغرض منه التعليم، والنصح ، والإرشاد.

وقد جاء التعبير بفعل الإعطاء دون فعل الإيتاء، فقال أعطوا بدلا من آتوا ؛ لأن الإعطاء يختص بالصلة كما يقول الراغب: « إن الاعطاء هو اتصال الشيء إلى الآخذ له» (١).

وقد سلك النبي- ﷺ- بالمعنى هنا مسلك المجاز، فجعل للطرق على القاعدين عليها حقوقا واجبة؛ تصويرا للطرق في صورة الأحياء الذين تجب لهم حقوق لا بد أن تؤدى إليهم، حيث شبه الطريق بإنسان له حق، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو الحق على سبيل الاستعارة المكنية، ولا شك في أن تصوير الطريق في صورة صاحب الحق يلقي في النفس إحساسا قويا بضرورة أداء ما يطالب به، فهو حق يجب أداؤه، لا يخلي به، ولا يخفي ما في كلمة حق من الإبهام الذي يحتاج إلى إيضاح، وهو أسلوب بلاغي له قدرته على إثارة تطلع المتلقي إلى معرفة

(١)المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني – المكتبة التوفيقية – بدون .: مادة(عطا)، صـ٣٤١.

المراد من هذا المبهم غير الواضح، فإذا جاء البيان تلقته النفس تلقي المستشرف للشيء المشوق إلى معرفته(١).

ولهذا نجد الصحابة- رضي الله عنهم- قد بادروا رسولهم بالسؤال قائلين: وما حق الطريق؟ وهذه الواو التي ابتدأ بها الصحابة كلامهم تؤذن بالحذف، أي بمعنى قام في النفس، وطواه اللسان جريا مع الاختصار، والبدار إلى ما هو أهم، وهذا الذي جرى في النفس هو المعطوف عليه.

ويأتي الجواب من النبي- ﷺ- شافيا كافيا لم يترك فيه أدبا من آداب من آداب الطريق إلا وقد نص عليه، مما يدل على عناية الإسلام بإشاعة الأمن، والأمن للمارة من جهة، ومن جهة أخرى للجالسين، وليس على الأمة إلا أن تتبع تعاليم نبيهم.

وقد جاء حذف المسند إليه في هذا السياق؛ إسراعا إلى ذكر المطلوب، ولفتا، وتنبيها إلى العناية بالخبر، والاهتمام به.

كما جاء المسند في هذا السياق في صورة المصدر؛ مبالغة في إثبات تلك الحقوق للطرقات، وكل ما في معناها من الأماكن، ولاحظ كيف جاءت المفردات في تلك الأساليب، غض البصر، وكف الأذى، رد السلام متميزة من حيث البناء الصوتي، ووقعها النغمي، ومن حيث ظلال المعاني المصاحبة لها، فقد أعطى التشديد قوة، وإصرارا على تلك الحقوق، كما أضفى التنوين في قوله- ﷺ-:(وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر)

---

(١)لمحات من هدى النبي (ﷺ) وبلاغته ، د / عبد الغنى محمد بركة – بدون طبعة ، بدون تاريخ ، صـ١٠٦، ١٠٧.

على الأسلوب جرسا موسيقيا، ونغما صوتيا يتلاءم مع المعنى تمام الملائمة، يهز الوجدان، ويترك في النفس أثرا.

وقد جاءت قيود تلك الجمل جميعها محذوفة، والتقدير: غض البصر عن النظر الحرام، وكف الأذى عن المارة، ورد السلام على من يلقي السلام، وقد حذف تلك القيود للعلم بها، مع ما في الحذف من الدلالة على العموم والشمول والغرض منه التركيز على تلك الصفات بحيث يتناول غض البصر كل المحرمات، ويتناول كف الأذى عن الناس بكل طرقه سواء باللسان، أو باليد، والشتم، والسب، والشتم، ويرد السلام على كل من ابتدأ به.

ثم جاءت المقابلة البديعة في ختام الحديث بين (أمر ونهي) وبين (معروف، ومنكر)؛ لتكون آخر ما يقرع السمع، ويطرق الذهن، والغرض منها التأكيد على التحلي، والأخذ بهذين الشيئين ، والالتزام بهما ؛ والمقابلة بين المعروف، والمنكر ، والمقابلة أسلوب يقرر المعنى ويؤكده؛ لأن "ذكر الشيء ومقابله يوضح خصائص كل منهما، فتتحدد المعاني المرادة في الذهن تحديدًا قويًا "[1].

ومن هنا اتصف جواب النبي- ﷺ-بالتسلسل الفكري الواضح، والترتيب المنطقي ، فغض البصر يترتب عليه كف الأذى، وعدم الاعتداء على الناس، وعدم الاعتداء على الناس يترتب عليه نشر السلام، والأمن، والطمأنينة في المجتمع المسلم.

(١) الصبغ البديعي :د/ أحمد موسى .ص٤٧١ .دار الكتاب العربي – بيروت . طبعة ١٣٨٨هـ- ١٩٦٩م ،صـ٤٧١.

وقد بدأ النبي- ﷺ- في سرد حقوق الطريق بغض البصر؛ لأن النظرة الحرام هي البداية الأولى، والباب الأكبر إلى القلب، فالنظرة بريد الشهوة، ورائد الفجور، وطريق إلى الزنا والعياذ بالله.

وجواب النبي- ﷺ- يتجلى فيه جوامع الكلم التي تشتمل على حسن المعاني وكبارها، فقد اشتملت تلك الآداب على معنى علة النهي عن الجلوس في الطرقات، حيث أشار النبي- ﷺ-أشار بغض البصر إلى السلامة من التعرض للفتنة بمن يمر من النساء وغيرهن، وبكف الأذى إلى السلامة من الاحتقار والغيبة ونحوها، وبرد السلام إلى إكرام المار، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر« إلى استعمال جميع ما يشرع، وترك جميع ما لا يشرع»(١)

سابعا:

التحذير من الظن السيء

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ-قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَنَاجَشُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»(٢)

يحذر النبي- ﷺ- في هذا البيان أمته من الظن السيء؛ لأنه أكذب الحديث ومن التحسس ، والتجسس، والتناجش، والتحاسد، والتباغض،

(١)من بلاغة الحديث النبوي، د / محمد أحمد سحلول، صـ١٣٠.

(٢)صحيح البخاري، كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا} [الحجرات: ١٢]، حديث رقم ٥٧١٩ ،٢٢٥٣/٥، وصحيح مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ الظَّنِّ، وَالتَّجَسُّسِ، وَالتَّنَافُسِ، وَالتَّنَاجُشِ وَنَحْوِهَا، حديث رقم(٢٥٦٣)،١٩٨٥/٤.واللفظ للبخاري.

والتدابر؛ لأن هذه الأشياء من شأنها أنها تنفي الأخوة، ،وتحل محلها القطيعة، وتجلب غضب الرب – سبحانه وتعالى–، كما أمرهم بأن يكونوا إخوة في الله، وناداهم بأحب الصفات إليهم، وهي صفة العبودية؛ لأن من لوازمها التحلي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل.

والملاحظ أن النبي – ﷺ–افتتح تحذيره من الظن السيء بأسلوب التحذير (إيَّاكم) والبدء بهذا التحذير مشعر بعظم خطورة الأمر بعده ، حيث لا يؤتي بأسلوب التحذير إلا حينما يراد تنبيه المخاطب، وتخويفه من مكروه شديد ليتجنبه.

كما أن تصدير الكلام بتلك الصيغة فيه تعجيل بالإنذار، وإعلان الخطورة، وليلتفت السامع بكل ما يملك من المحذر منه ، والتعجيل في هذه الصيغة مستفاد من بنائها على الإيجاز بحذف الفعل والفاعل؛ لتكون بذاتها علمًا على الخطر.

كما أن تلك الصيغة مشعرة بشدة حرص النبي – ﷺ – وخوفه على أمته من الوقوع في دائرة الظن السيء؛ لأنه يورث في النفس نوعًا من النفرة، ويزرع بذرة من بذور البغض، والكره للآخرين.

وقد بينت صيغة التحذير على حذف العامل (المسند): والتقدير: أحذركم واحذروا الظن ، وذلك ليقذف الخبر بسرعة إلى المخاطب ، فيبادر في الابتعاد والحذر منه.

والواو في قوله– ﷺ –: (وَالظَّنَّ) واو عطف ، والظن معطوف على محذوف، والتقدير: أحذركم واحذروا الظن، وأل في قوله– ﷺ –:(الظَّنَّ) للعهد، والظن في اللغة: « الشكُّ يَعْرِضُ لك في الشيء، فتحققه، وتحكم

به، والمراد به هنا التهمة التي لا سبب لها، كمن يتهم رجلا بالفاحشة من غير أن يظهر عليه ما يقتضيها» [(١)]، وقال ابن حجر: « ليس المراد ترك العمل بالظن الذي تناط به الأحكام غالبا، بل المراد ترك تحقيق الظن الذي يضر بالمظنون به، وكذا ما يقع في القلب بغير دليل، وذلك أن أوائل الظنون إنما هو خواطر لا يمكن دفعها، وما لا يقدر عليه لا يكلف به»[(٢)].

والظن نوعان: «أما أن يراد بالحديث حديث النفس، بمعنى أن ما يقع في النفس، ويخطر بالقلب من الظنون السيئة هو من أكذب الأحاديث النفسية، فلا تلتفتوا إليه، أو تعتمدوا عليه، لأنه من وسوسة الشيطان أو يراد به " حديث اللسان " بمعنى أن كل قول لا يستند إلَّا إلى مجرد الظن هو من أكذب الأقوال، وأبعدها عن الحقيقة، فإياكم أن تتحدثوا به من غير دليل تستندون إليه، " وهو الذي نهى الله عنه»[(٣)] بقوله- تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ ﴾ الحجرات: ١٢

ثم يعلل النبي- ﷺ- لهذا التحذير بقوله: « فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ »، وقد أفرغت جملة التعليل في قالب متين موثق، جاءت "الفاء" السببية نصًا

---

(١)الأدب النبوي، لمحمد عبد العزيز بن علي الشاذلي الخَوْلي (المتوفى: ١٣٤٩هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت، الطبعة: الرابع، ١٤٢٣ هـ،صـ١٣٥.

(٢)فتح الباري،١٠/٤٨١.

(٣)منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، لحمزة محمد قاسم، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون، الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق – الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف – المملكة العربية السعودية عام النشر: ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م،٥/٢٤٨.

في التعليل ، من باب عطف العلة على المعلول ، وكأن هنا كلامين متميزين أحدهما علة للآخر قامت الفاء بينهما مقام العروة الخارجية، وعبر بأم أدوات التوكيد "إن" ،والجملة اسمية والغرض من التأكيد هو رغبة النبي – ﷺ– في تقوية مضمون الكلام عند المخاطب، وتقريره في نفسه.

ولعل النبي– ﷺ–أكد الجملة بـ(إنَّ) تنزيلا للمخاطبين منزلة المترددين لما رأى منهم الاستهانة بخطر الظن، ولذا جاء أفعل التفضيل(أَكْذَبُ) مضافة إلى الحديث؛ إشارة أنه أخطر الكلام؛ لأنه اتهام بالباطل دون دليل، لذا أفاد أفعل التفضيل المبالغة في ذم الظن؛ لأنه أمر نفسي لا يعتمد على سند، أو بينة، ولأنه غير مطابق للواقع.

وقوله– ﷺ–: «وَلَا تَحَسَّسُوا» معطوفة على جملة الظن «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ »؛ لأنها من عطف الإنشاء على الإنشاء من عطف النهي على الأمر، وقد سوغ العطف بينهما وجود المناسبة التامة بينهما، فبينهما توسط بين الكمالين، فكل منهما يشتمل على صورة من صور الأعمال المنهي عنها لأجل الضرر؛ ومن ثم حسن العطف بين الجملتين .

وقد جاء العطف بـ"الواو" ؛ لأنها "أم الباب ، ورأس أدوات العطف ، وفيها جوهر معناه، بل صورته البسيطة الأولى التي توجد في كل أداة من أدوات العطف، فإن مطلق الجمع هو الأساس ، وهو النواة التي منها تنبت سائر المعاني"(١).

---

(١) نحو المعاني :د/ أحمد عبد الستار الجواري ، مطبعة المجمع العلمي العراقي١٤٠٧هـ–١٩٨٧م.، صـ٩٦.

والسر البلاغي وراء هذا العطف هو التحذير من التحسس؛ لما فيه من البحث عن عورات الناس[١]، والاشتغال بعيوبهم عن طريق طلب الشيء بالحاسة سواء بالسمع، أو البصر، أو غير ذلك، وقد دل النهي عن التحسس على التحريم، مع ما غلف به الأسلوب من نصح، وإرشاد، وتعليم، وذلك حفاظا على حال الفرد، وصيانة لخصوصيات الناس.

كما جاء نهيه- ﷺ-عن التجسس في قوله:« وَلَا تَجَسَّسُوا» ، والتجسس هو تعرف الشيء من طريق الجس[٢]، أي الاختبار باليد، والنهي عنه جاء معطوفا على النهي عن التحسس؛ لما بينهما من المناسبة التامة، حيث إن كلا منهما يستعمل في العورات، وعيوب الناس، كما ورد النهي في قوله - ﷺ-: «ولا تَنَاجَشُوا» عن النجش، وهو أن يزيد الرجل ثمن السلعة، وهو لا يريد شراءها، ولكن ليسمعه غيره، والنهي مع ما يحمله من النصح والإرشاد جاء تطهيرًا للمجتمع من كل ما من شأنه أن يحدث الشقاق، والخصام المؤدي إلى القطيعة؛ لأن النجش فيه مخاتلة، وخداع توغل الصدور، وتنمي الكراهية بين المتناجشين.

ثم أتي النهي عن التحاسد في قوله- ﷺ-:(ولا تحاسدوا), وأصله، ولا تتحاسدوا، وإنما حذفت التاء منه؛ للتخفيف، والحسد في اللغة تمني زوال نعمة الغير[٣]، والنهي ما مع فيه - أيضا - من النصح والإرشاء، جاء تقويما لهذا المرض النفسي الخطير، وتنفيرا منه؛ تحصينا للمؤمنين من

(١) لسان العرب، مادة(حسس).

(٢) السابق، مادة(جسس).

(٣) السابق، مادة(حسد).

شره؛ لأنه لا يصدر عن طهارة نفس، أو سلامة قلب، بل هو قرين نفس خبيثة.

ثم أردف هذا النهي بنهيين آخريين :(وَلاَتَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا)، وأصلهما (ولا تتباغضوا ولا تتدابروا)، وإنما حذفت التاء؛ للتخفيف، والنهي هنا فيه نصح وإرشاد ؛ وإنما نهي النبي – ﷺ–عن تلك الصفتين؛ تنفيرا منهما لما ينتج عنهما من القطيعة، والهجر بين المسلمين، ونشوء الخصام، والشقاق، والتعبير بالتباغض، والتدابر كناية عن صفة القطيعة، والإعراض، والتعبير بالكناية – هنا – إشارة إلى أن التباغض، والهجر بين المسلمين لا ينبغي أن يكونا أصلاً، ومن ثم "قد أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع من التصريح "[1] ؛ وذلك لأنها تقدم لك الحقيقة مصحوبة بدليها[2]، ولأنها " تحرك الفكر ، وتبعث على التأمل، وتقضى على الرتابة ، وتتسم بطابع التمثيل والتشخيص للمعاني، حتى لتقترب كثيرًا من فن الرسم"[3]. ومن ثم فالنهي عن التدابر والتباغض جاء استبشاعا لهما، واستعظاما لما يترتب عليهما من عظيم جرمهما.

ثم ختم النبي– ﷺ– بيانه الشريف، بما ينبغي أن يكون عليه المسلمون من الترابط، والاتحاد، فقال– ﷺ–:(وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا)، وهو تذييل

(١) دلائل الإعجاز :صـ٧٠.

(٢) بغية الإيضاح :للشيخ عبد المتعال الصعيدي –مكتبة الآداب . ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، ١٥١/٣.

(٣) في البلاغة العربية (علم البيان): د/ محمد مصطفى هدارة، دار العلوم العربية – بيروت – ط : الأولى ١٤٠٩هـ–١٩٨٩م. . صـ٨٢ .

جار مجرى المثل، قصد به أن يكون الشعور بين المسلمين كالشعور بين الأسرة الواحدة، يسعى كل فرد فيها لتحقيق مصلحة أخيه، ودفع الضر عنه، ففيه تذييل نافع مفيد؛ وذلك "لما للتذييل في الكلام من موقع جليل، ومكان شريف خطير ؛ لأن المعنى يزداد به انشراحًا، والمقصد اتضاحًا"(١)، فهو يقرر المعنى ، و"يؤكده في نفس سامعه؛ لأنه يعرض عادة في معرض الحكم العام الذى يشمل الحكم في الجملة قبله، فيكون معنى الجملة قد ذكر مرتين ، خاصًا مرة ، وعامًا أخرى "(٢).

(١) الصناعتين : (الكتابة والشعر): لأبى هلال العسكري ..ت: د/ مفيد قميحة . دار الكتب العلمية – بيروت – ط: الثانية ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م. صـ٤١٣

(٢) ينظر: أسس النقد الأدبي عند العرب :د/ أحمد بدوى ..دار نهضة مصر ١٩٩٦م، صـ٣٩٢. بتصرف يسير.

المطلب الثاني: الإغراء في الصحيحين.

المطلب الثاني:

الإغراء في الصحيحين.

استعمل النبي- ﷺ-، في بعض المقامات أسلوب الإغراء؛ تحبيبا في الأمر المغرى به، وحثا وحضا للمخاطب على القيام بفعله ، لذا سيقف البحث مع هذا الأسلوب من خلال التطبيق على أحاديث الصحيحين ، لنرى بلاغته في سياقه ومقامه، وإليك أيها القاريء الأحاديث التي اشتملت على أسلوب الإغراء مرتبة على النحو الآتي:

أولا : الإغراء في لزوم ديار بني سلمة ديارهم.

ثانيا: الإغراء في كثرة السجود.

ثالثا: الإغراء في السكينة عند أداء مناسك الحج.

رابعا: الإغراء في القصد في العمل، وعدم التشدد فيه.

خامسا: الإغراء في الرفق بالقوارير.

سادسا: إغراء سيدنا جابر- رضي الله عنه- في إتيان أهله بعد العودة من السفر أو الغزو.

سابعا: إغراء الأحباش في اللعب بالحراب في مسجد رسول الله- ﷺ-.

أولا :

الإغراء في لزوم ديار بني سلمة ديارهم.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ – رضي الله عنه–، قَالَ: خَلَتِ الْبِقَاعُ حَوْلَ الْمَسْجِدِ، فَأَرَادَ بَنُو سَلِمَةَ أَنْ يَنْتَقِلُوا إِلَى قُرْبِ الْمَسْجِدِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ – ﷺ–، فَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ الْمَسْجِدِ»، قَالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ أَرَدْنَا ذَلِكَ، فَقَالَ: «يَا بَنِي سَلِمَةَ دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ، دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ»(١)

قال الطيبي: « بنو سلمة بطن من الأنصار، وليس في العرب سلمة بكسر اللام غيرهم، كانت ديارهم على بعد من المسجد، وكان يجهدهم في سواد الليل، وعند وقوع الأمطار، واشتداد البرد، فأرادوا أن يتحولوا قرب المسجد، فكره النبي – ﷺ–أن تعرى جوانب المدينة، فرغبهم فيما عند الله من الأجر على نقل الخطا»(٢)

وقد جاء أسلوب الإغراء في قوله– ﷺ–: «دياركم»، مخاطبا بني سلمة، وديار، جمع دار، ونصبه على الإغراء: أي الزموا دياركم؛ لفتا وتنبيها لهم على لزومها، والإقامة؛ لتكثير الثواب بكثرة الخطا إلى المسجد، فكلما كانت المسافات بين الديار، والمسجد بعيدة كانت الخطا كثيرة، والأجر عظيما، فكثرة الخطا سبب في زيارة الأجر.

---

(١) صحيح مسلم،كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَابُ فَضْلِ كَثْرَةِ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، حديث رقم١،٦٦٥/٤٦٢.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح،٣/٩٣٢.

وقد بني الكلام في هذا السياق على حذف المسند، والمسند إليه؛ حرصا من النبي- ﷺ-على أن يقذف الخبر إليهم بسرعة، حتى يبادروا على الامتثال به، والاستجابة له.

كما أن في الحذف القصد إلى المغرى به مباشرة؛ حثا، وترغيبا فيه، ودفعا به إلى القلوب مرة واحدة.

وإنما كرر النبي- ﷺ- قوله: «دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ» مرتين؛ لبيان أهمية ما ذكر، ولفت انتباه المخاطبين إليه، وقد أضاف الديار إلى ضمير المخاطبين؛ لأن المقام يحتاج إلى ذلك؛ حيث أغنى عن تفصيل ذكرهم؛ لأنه أمر متعذر؛ إذ لو فعل ذلك لكان في الكلام تطويل لا يحتاج السامع إليه.

والتعبير بالفعل المضارع «تُكْتَبْ» المجزوم في جواب أمر الإغراء يضع المعنى بين يديك، ويستحضر لك صورة كتابة الآثار، فكأنك تراها بعينك، وهذا مما يحث نفوسهم، ويستفزها في لزومهم ديارهم.

والمراد بالكتابة التي تكتب في صحف الأعمال، أي« كثرة الخطا سبب لزيادة الأجر، أو التي تكتب في كتب السير، أي تكتب قصتكم ومجاهدتكم في العبادة في كتب سير السلف، فيكون سببا لحرص الناس على الجد والاجتهاد»(١).

وبني الفعل «تُكْتَبْ» لما يسم فاعله للعلم به؛ ولأن الغرض المقصود هو المفعول به، فالثواب منصب غلى كتابة الآثار؛ لأنها بيد الله- عزوجل-

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح،٢/٥٩٣.

كما قال- تعالى-: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ يس: ١٢

وقد كنى النبي- ﷺ- بكتابة الآثار عن الوعد بالثواب على أعمالهم الصالحة والثواب على آثارهم، وهذا الاعتبار يناسب الاستئناف البياني؛ ليكون الانتقال بابتداء كلام منبها السامع إلى ما اعتبره المتكلم في مطاوي كلامه.

والآثار جمع أثر، وأثر الشيء حصول ما يدل على وجوده، أي أن أجر خطاكم، وثواب أقدامكم لكل خطوة درجة، فكلما كان الخطا أكثر يكون الأجر أكثر(١).

ففي التعبير بالآثار مجاز مرسل علاقته السببية، حيث عبر بالسبب، وهو الآثار، وأراد السبب، وهو أجر الخطا؛ مبالغة في عظم الأجر، والثواب الذي يتحصل عليه المرء من خطوته إلى المسجد، وفي المجاز الإشارة إلى قوة السبب، وشدة التلبس بينه، وبين المسبب عنه، حتى كأنهما أصبحا شيئا واحدا لا فرق بينهما، فصار يخبر بأحدهما عن الآخر، وهذا التصرف الأسلوبي مدعاة للالتزام بهذا الفعل، والمداومة عليه.

ولما كان في كثرة الخطوات إلى المسجد كثرة الأجر، والثواب حرص النبي- ﷺ- على لزوم بني سلمة ديارهم، وعدم نقلها بقرب مسجده، فناداهم بقوله: «يَا بَنِي سَلِمَةَ» وغالبا ما يتقدم النداء الأمر لضمان اهتمام، واصغائه، والتقائه، وتتبعه لما يلقى، وكأن فيه إغراء على الإكثار من الأجر.

---

(١)لسان العرب، مادة(أثر).

ثانيا:

الإغراء في كثرة السجود

عن مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمَرِيُّ، قَالَ: لَقِيتُ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ- ﷺ- ، فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْخِلُنِي اللهُ بِهِ الْجَنَّةَ؟ أَوْ قَالَ قُلْتُ: بِأَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ، فَسَكَتَ. ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَسَكَتَ. ثُمَّ سَأَلْتُهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً، إِلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً»(١)

الحديث الشريف فيه الحث، والحض على كثرة السجود؛ لما فيه من التقرب إلى الله- عزوجل-، ورفع الدرجات العلى في الجنة، والحط من الخطيئات والسيئات يوم القيامة.

لذا كان النبي- ﷺ- ينصح أبنائه أن من أراد أن يدخل الجنة فليعنه على نفسه بكثرة السجود، وكان من هؤلاء الصحابة مولاه ثوبان، حيث قال: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»، وهو أسلوب إغراء يقوم على تنبيهيه إلى أمر محمود؛ ليفعله، وهو المواظبة على كثرة السجود، وكأنه يقول له: أكثر من السجدات في الدنيا حتى تنال الدرجات العلى، والنعيم المقيم في الجنة.

وقد وجه النبي- ﷺ- الأمر إليه مباشرة بصيغة الإلزام، فقال: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ»؛ إيذانا بأن نيل المراتب العلية إنما يكون بمخالفة، وكسر الشهوة.

(١)صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب فضل السجود، حديث رقم(٤٨٨)،١/٣٥٣.

وعليك اسم فعل أمر بمعنى الزموا، وذلك أصله أن يقال: عليك أن تفعل كذا، فتكون جملة من خبر مقدم، ومبتدأ مؤخر، وتكون(على) دالة على الاستعلاء المجازي، كأنه جعل فعل كذا معتليا على المخاطب ومتمكنا منه؛ تأكيدا لمعنى الوجوب فلما كثر في كلامهم قالوا: عليك كذا، فركبوا الجملة من مجرور خبر واسم ذات مبتدأ بتقدير: عليك فعل كذا، لأن تلك الذات لا توصف بالعلو على المخاطب، أي التمكن، فالكلام على تقدير. وذلك كتعلق التحريم والتحليل بالذوات في قوله: -تعالى-﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ ﴾ **المائدة: جزء من آية رقم٣** وقوله -تعالى-:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ .....① ﴾ (١)

وقد خص السجود بالذكر، ووقع التعبير به عن (الصلاة) على سبيل المجاز المرسل لعلاقة الجزئية؛ لأنه غاية التواضع والعبودية لله- تعالى- ولما فيه من إظهار الافتقار، والتزام الخضوع والذلة بين يدي ملك الملوك، وفيه تمكين أعز الأعضاء، وأعلاها، وهو وجهة من التراب الذي يداس، ويمتهن(٢)، ومن ثم جاء هذا القيد(لله) إثارة، وإلهابا، وتهييجا إلى المبادرة بامتثال السجود لله- تعالى-، وتنبيها إلى عظمته- سبحانه- في نفس المؤمن، وبهذا القيد يخرج السجود لغيره؛ لأن السجود لغيره فيه مذلة، ومهانة غير أنه كفر به - سبحانه وتعالى-.

---

(١)التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور – الدار التونسية للنشر – ١٩٨٤ م . ٧٧/٧.

(٢)فيض القدير شرح الجامع الصغير،٤٤٠/٤، المنهاج شرح صحيح مسلم،٢٠٥/٤.

ثم بين النبي- ﷺ- ماذا يحصل للإنسان من الأجر فيما إذا سجد لله سجدة واحدة؟ في قوله: «فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً، إِلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً» رغبة منه في زيادة تقرير المأمور به، والحث على تحقيقه، وقد أتبع الأمر المفهوم من اسم الفعل(عليك)، في قوله- ﷺ-: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ»، ببيان علته الباعثة عليه مع التنبيه على تلك العلة من خلال التعبير بالفاء في قوله: «فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً» وتأكيد تلك العلة بـ(إنَّ) المؤكدة؛ إشعارا بمدى الحاجة للمأمور به، وتحقيقا لاتصال ما بعد(إن) بما قبلها وارتباطه به.

ولك أن تنظر فيما تحققه سجدة واحدة عند الله من الأجر والثواب، حيث قال: « لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً» والأسلوب قائم على المقابلة، فرفع المسلم درجة في الجنة بسجدة يستدعي في المقابل حط عنه بها خطيئة، والمقابلة هنا بين معنيين، حيث قابل بين رفع وحط، وبين الدرجة المسببة عن الحسنة التي في مقابل الخطيئة؛ ليحصل له الكمال بزوال ما يكره، وحصول ما يجب، فرفع الدرجات مما يحبه الإنسان، والخطايا مما يكره الإنسان، فإذا رفع له درجة، وحط عنه بها خطيئة، فقد حصل على مطلوبة، ونجا من مرهوبه، والمقابلة أسلوب يقرر المعنى، ويؤكده؛ لأن ذكر الشيء، ومقابله يوضح خصائص كل منهما، فتتحدد المعاني المرادة في الذهن تحديدا قويا» [1].

(١) الصبغ البديعي: د/ أحمد موسى ٤٧١.

ثالثا:

الإغراء في السكينة عند أداء مناسك الحج.

الحديث الأول

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ- رضي الله عنه- أن رسول - ﷺ- قال في حجة الوداع وهو يؤدي مناسك الحج: « أَيُّهَا النَّاسُ، السَّكِينَةَ السَّكِينَةَ»(١).

الحج عبادة من العبادات البدنية التي يحتشد في أدائها عدد كثير من المسلمين على مر الأزمان منذ أن حج نبينا- ﷺ- إلى يومنا هذا، وعلى المسلم أن يسير في حجه يسيرا حثيثا؛ حرصا على سلامة إخوانه، وتجنبا لأذيتهم.

لذلك دعا النبي- ﷺ- المسلمين في هذا المشهد- أعني حجة الوداع- إلى الوقار والاعتبار؛ خوفا مما يسببه التدافع في الزحام بقوله: « السَّكِينَةَ السَّكِينَةَ»، وقد وقعت منصوبة على تقدير: الزموا السكينة، وهي الرفق، والطمأنينة، وعدم الزحمة، فالنصب على الإغراء؛ لينبه المخاطبين إلى ما ينبغي عليهم فعله في تأدية مناسك الحج من التزام الهدوء، والطمأنينة، والتأني، وعدم الاستعجال، فالسكينة لا يعدلها شيء، إذ يترتب عليها التراحم الذي يجلب المحبة، والألفة بين المسلمين، ومن ثم يجب علينا التحلي بتلك الفضيلة حتى نكون محترمين للأنظمة النافعة المفيدة، وأن نعتقد أن احترامها، والتقيد بها أمر مطلوب منا شرعا؛ لأن سلامة الأرواح،

---

(١)صحيح مسلم، كتاب الحج، بَابُ حَجَّةِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، حديث رقم(١٢١٨)،٢/٨٨٦.

والأموال مطلوبة من المسلم، فالتهور، وعدم المبالاة ليست من أخلاق المسلمين.

وإنما أمر النبي- ﷺ- المخاطبين بالهدوء عند أداء العبادة؛ لأنه جرت عادة الناس من زمن طويل أنهم عند الدفع يندفعون، ويسرعون يتبادرون النهار من جهة، ولأن الإنسان خلق من عجل وصفته العجلة(١)، كما قال الله- تعالى-: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾ **الأنبياء: ٣٧**

وأسلوب الإغراء قائم على حذف الفعل، والتقدير: « الزموا السكينة» ، وهي الرفق والطمأنينة، وعدم الزحمة، فالنصب على الإغراء، والمغرى به من حقه التقديم؛ ليسرع المخاطب إلى الامتثال به، وفعله، فهو بذلك يشكل قلادة الجيد في التركيب، فضلا عما الحذف من الاختصار الاقتصاد في التعبير، والاحتراز عن العبث عند تحقق المعنى المراد لدى المتلقي ككون المذكور لا يصلح إلا للمحذوف.

كما يمكن أن يكون الفعل قد حذف في هذا السياق لضيق المقام؛ حيث لا يسمح المشهد بتلفظه، ولا الموقف بذكره؛ لئلا يفوتهم الخير في تحصل ما سلط عليه الفعل المحذوف، فالكلمة في مثل هذا المقام تغني عن الكلمات والإشارة تكفي عن العبارة.

---

(١)شرح حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) لدار المحدث للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ،صـ٦٥.

وقد كرر النبي- ﷺ- المغرى به، فقال: «السَّكِينَةَ السَّكِينَةَ» ؛ تمكينا للمعنى، وتأكيدا له في الذهن المتلقي، فإن الكلام إذا تكرر ذكره وقع في النفس موقع القبول، وكان أدعى إلى الاستجابة والامتثال.

وقد كان للنداء في قوله- ﷺ-: «أَيُّهَا النَّاسُ»، الدور البارز في تهيئة المخاطب وتنبيهه إلى أهمية ما يلقي عليه من أمر، فتتهيأ العقول لاستقباله، وتأنس القلوب بمجيئه،« فالنداء يوقظ النفس، ويلفت الذهن؛ لأنه طلب ودعاء، فإذا جاء الأمر صادف نفسا مهيأة يقظة فيقع منها موقع حيث تتلقاه بحس واع، وذهن متنبه، وهذا دليل على عناية الأمر، ورغبته في إعداد النفوس لتلقيه»(١).

وإنما حذف النبي- ﷺ- أداة النداء من قوله: «أَيُّهَا النَّاسُ»، تخفيفا على النطق، لكثرة دورانه في الكلام على الألسنة، وقصدا إلى سرعة الامتثال؛ لذا كان حق البلاغة أن يفضي البليغ إلى المقصود، ولا يطيل في المقدمة، وإنما يلم بها إلماما، ويشير إليها إجمالا؛ تنبيها بالمبادرة إلى المقصود على شدة الاهتمام به.

وقد كثف النبي- ﷺ- من أدوات التنبيه في هذا السياق؛ حملا للمخاطبين على الإصغاء، والتفاتا إلى أهمية ما يلقى عليهم من أمر في مقام يقتضي حالة من الإنصات، والاستماع إليه بداية من حذف أداة (يا)، واتباعها بـ(أيها)، « وهي نداء آخر تتضمن فنونا من التوكيد، منها أن أي وهي وصلة لنداء ما فيه أل اسم مبهم مفتقر إلى ما يوضحه، ويزيل إبهامه، فلا بد أن يردفه اسم جنس، أو ما يجري مجراه يتصف به

(١)دلالات التراكيب، أ.د/ محمد محمد أبوموسى،صـ٢٥٦.

حتى يتم المقصود من النداء، ولفظ الناس وصف موضح لإبهامه، وفي هذا التدرج من الإبهام إلى التوضيح ضرب من التأكيد والتشديد، ومنها هاء التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لفائدتين: معاضدة حرف النداء ومكانفته بتأكيد معناه، فتزيد هذه الطريقة من النداء قوة ووكادة»[1].

وقد جاء المنادي في هذا الحشد بلفظ الناس فقال: « أيها الناس» دون لفظ المؤمنين، أو المسلمين؛ لما هذه الكلمة من إغراء ما رغبهم فيه النبي- ﷺ- فهي كلمة تقولها العرب في الإغراء بالفعل، والحث؛ لأن من شأن النفوس أن تسرع إلى التقليد والاقتداء بمن يسبقها في الأمر، فذلك يأتون بهذه الكلمة في مقام الإغراء.

و(أل) في كلمة(الناس) للعهد، فهو لفظ عام يصدق على المسلمين وغيرهم، ولكن دلالة المقام تصرفه إلى المسلمين وحدهم؛ لأن النبي – ﷺ- لم يحج معه أحد في حجة الوداع إلا كان مسلما.

ففي قوله – ﷺ- : (الناس) مجاز مرسل لعلاقة العموم، وتبدو بلاغة هذا المجاز في أنه يوحي بأن المؤمنين هم الناس الذي ينبغي أن يكونوا أناسا، وقد وصف القرآن الكريم غير المؤمنين بأنهم كالأنعام، أو أضل،

(١)الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، للعلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧ . ٥٣٨ هـ)، الناشر : دار الكتاب العربي . بيروت، سنة الطبع : ١٤٠٧ هـ،١/٩٠.

ونفى عنهم السمع، والبصر، والفؤاد؛ لأنهم لا ينتفعون الانتفاع الحقيقي بشيء من ذلك(١).

ويؤيده قول الراغب الأصفهاني: «والناس قد يذكر ويراد به الفضلاء دون من يتناوله اسم الناس تجوّزا، وذلك إذا اعتبر معنى الإنسانيّة، وهو وجود العقل، والذّكر، وسائر الأخلاق الحميدة، والمعاني المختصّة به، فإنّ كلّ شيء عدم فعله المختصّ به لا يكاد يستحقّ اسمه» (٢)

الحديث الثاني

عن ابْن عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–: أَنَّهُ دَفَعَ مَعَ النَّبِيِّ– ﷺ– يَوْمَ عَرَفَةَ، فَسَمِعَ النَّبِيُّ – ﷺ– وَرَاءَهُ زَجْرًا شَدِيدًا، وَضَرْبًا وَصَوْتًا لِلْإِبِلِ، فَأَشَارَ بِسَوْطِهِ إِلَيْهِمْ، وَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ فَإِنَّ البِرَّ لَيْسَ بِالإِيضَاعِ»(٣).

الحديث الشريف يبين أن السكينة والوقار من الصفات الحميدة التي حث عليها الشرع، خصوصا في العبادات، ومواطن الزحام كالحج، وأن من الخطأ عند تأدية مناسك الإسراع والعجلة.

---

(١)أسرار البيان النبوي، د / أحمد محمد على – دار الصحوة – ط : الأولى ١٤٠٦ هـ،صـ٧٧.

(٢)المفردات في غريب القرآن:صـ٥١١،مادة(نوس).

(٣)صحيح البخاري، كتاب الحج، بَابُ أَمْرِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِالسَّكِينَةِ عِنْدَ الإِفَاضَةِ، وَإِشَارَتِهِ إِلَيْهِمْ بِالسَّوْطِ، حديث رقم٢،١٦٧١/١٦٤، وصحيح مسلم، كتاب الحج ، بَابُ اسْتِحْبَابِ إِدَامَةِ الْحَاجِّ التَّلْبِيَةَ حَتَّى يَشْرَعَ فِي رَمْيِ جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ يَوْمَ النَّحْرِ، حديث رقم٢،١٢٨٢/٩٣١، واللفظ للبخاري، الإيضاع: هو الْإِسْرَاعُ فِي السَّيْرِ، لسان العرب، مادة(وضع).

ولما سمع النبي – ﷺ– وهو متوجه إلى المزدلفة الناس وراءه يصيحون في الإبل، ويضربونها؛ لتسرع في سيرها أشار بسوطه ينهاهم فيها عن عدم العجلة، والالتزام بالهدوء، الرفق، والسكينة مفتتحًا حديثه بقوله:(أيها الناس)؛ والنداء جاء جذبا لأسماعهم، وإيقاظا لهم، ولفتا إلى أهمية ما يلقى إليه ، وعظمة ما نودوا من أجله، والتنبيه إليه.

وإنما ناداهم بـ(يا) المحذوفة الموضوعة في اللغة للبعيد؛ إشارة إلى بعدهم عن منهاج النبوة في هذا الموقف؛ تنزيلا للقريب منزلة البعيد إشارة إلى خطورة ما وقعوا فيه من خطأ الإسراع في السير أثناء طواف الإفاضة.

وقد عبر المنادى بلفظ الناس دون المؤمنين ، أو المسلمين؛ لأن لفظ الناس يقع على العموم إلا أن المقام يصرفه إلى المسلمين.

وقد جاءت جملة النداء تمهيدا وتوطئة لجملة الإغراء: (عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ)، ومعناها الزموا السكينة والطمأنينة ،وإنما جاءت في أسلوب الإغراء؛ تنبيها على التحلي بها، والتمسك بشأنها، لأنها أعون على حضور القلب، وأدعى إلى الخضوع والخشوع، تأدية للعبادة بسلام، وعلى أكمل وجه، والتعبير بحرف الجر(على) يشير إلى أن التحلي بها أمر واجب على المخاطبين لا ينبغي تركه، أو الركود عنه، و الباء في قوله– –ﷺ: (بالسَّكِينَةِ) توحي بقوة التربص بها، والارتباط ، وشدة التمسك بها.

وقوله (ﷺ) : « فَإِنَّ البِرَّ لَيْسَ بِالإِيضَاعِ»، جملة مؤكدة بـ (إنَّ) يصح أن تكون جوابًا لسؤال عن سبب أمر النبي (ﷺ) للناس بالسكينة، ولكن اقتران هذه الجملة بالفاء ، جعلها علة للأمر المفهوم من جملة الإغراء،" وأن الكلام مع الفاء لم يبْنَ على أساس أن تكون الجملة الثانية متولدة

من الأولى، وموصولة بها ، كما يوصل الجواب بالسؤال ، وإنما هي مرتبطة بها بالفاء التي تعطفها عليها عطف العلة على المعلول ، وكأن هنا كلامين متمايزين أحدهما علة للآخر ، قامت الفاء بينهما مقام العروة الخارجية ، لهذا صار الفرق بين بناء الأسلوبين فرقًا ظاهرًا ، فأحدهما يقوم على الروابط الداخلية الخفية، والآخر على العلاقات اللفظية الظاهرة ، ولكل مقامه "(١) ، والمقام هنا يستدعي الحمل على الاستجابة للأمر السابق المفهوم من جملة الإغراء؛ ولذا كان مجيء الجملة المؤكدة في إطار كونها علة لما سبق أولى؛ لأن الأمر إذا كان معللا كان أدعى للاستجابة له، إضافة إلى توكيد الجملة بـ (إن) جاء لتنزيل المخاطبين منزلة المنكرين؛ لأن إسراعهم بالإبل وزجرهم لها، وضربهم لها ضربا شديدا، كأنهم ظنوا أن ذلك من أعمال البر، فأكد لهم الخبر بـ(إنَّ) واسمية الجملة، وتقديم(البر) على الخبر المنفي في قوله(ﷺ):« فَإِنَّ البِرَّ لَيْسَ بِالإِيضَاعِ» يفيد تقوية الكلام، وتأكيده في ذهن المخاطبين.

(١) دلالات التراكيب : صـ٣١٥، ٣١٦ .

رابعا:

الإغراء في القصد في العمل، وعدم التشدد فيه.

الحديث الأول

السيدة عَائِشَةُ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا–، قَالَتْ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ –: «مَهْ عَلَيْكُمْ مَا تُطِيقُونَ مِنَ الأَعْمَالِ، فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا» (١).

الإسلام يحث على الاقتصاد في الطاعة والاعتدال فيها والتوسط، وذلك بالمداومة على القليل منها، فإن المواظبة على القليل والمداومة عليه خير من الكثير الذي يؤدي إلى الترك، لذلك فإنَّ الأَوْلى في العبادة القصد، والملازمة لا المبالغة المفضية إلى الترك» (٢)، قال الإمام النووي – رحمه الله–: "بدوام القليل تستمر الطاعة بالذكر والمراقبة والإخلاص والإقبال على الله بخلاف الكثير الشاق حتى ينمو القليل الدائم بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافاً كثيرة"(٣)

ومطلع الحديث هو الجملة الأم التي بني عليها بقية جمل الحديث فهي بمثابة المقدمة والتوطئة لما بعدها من جمل، فليس المقصود من اسم فعل الأمر(مَهْ) طلب الكف عن العبادة جملة وتفصيلاً، وإنما المراد عدم تكلف النفس وتحملها فوق قدرتها وطاقاتها، لأن كثرة العمل يورثها الملل والسآمة فستثقل العبادة فتتركها، لذا جاء اسم فعل الأمر

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، بَابٌ: أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ– أَدْوَمُهُ، حديث رقم٤١،ج١/٧٥، وصحيح مسلم في صلاة المسافرين باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن، حديث رقم ٧٨٥،ج١/٥٤٢. واللفظ للبخاري.

(٢) فتح الباري:ج١/٧١.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين :ج٢/٣٨٥.

الثاني.(عليكم) الذي دل على الإغراء؛ ليلزم النفس البشرية، ويحضها على الأخذ من العمل على قدر الطاقة والاستطاعة، وهذا هو منهج الإسلام في تربية النفس البشرية إذ يتعامل معها باليسر حتى تثبت على طريق الاستقامة.

وتأمل إشباع المعنى من خلال هذه القيود "ما تطيقون من الأعمال"، والتي تتدفق بالإشارات البديعة، والأحكام المستنبطة، و"اللغة في إفرادها، وتراكيبها مثقلة بالضوابط، والقيود، وبمقدار دقتها، وثرائها، وتفوق أصحابها تكون هذه الضوابط والقيود؛ لأن دقة الاستعمال، ودقة الدلالة لا مرجع له إلا كثرة الضوابط، والاعتبارات"(١).

والتعبير بالاسم الموصول وصلته، جاء لتحقيق غايات بيانية منها القصد إلى معاني فيها ذات أهمية في سياق الكلام(٢)، حيث عبر بالموصول، (ما تطيقون) لإبراز ما في حيز الصلة من معنى جليل، أراد النَّبيُّ – ﷺ– أن يظهره، ويوضحه، وينبه المخاطبين إليه؛ لما سيترتب عليه من أمور مهمة، تعود على النفس المسلمة بالنفع والخير.

ومنها ما في التعبير بالموصول وصلته من إثارة وتشويق وترقب؛ ذلك لأنَّه إذا نطق باسم الموصول، وما يعتريه من غموض وإبهام، تطلعت النفس إلى بيانه، واشتاقت إلى توضيحه، فإذا جاء الإيضاح الذي تحمله جملة الصلة صادف نفسًا مهيأة يقظة، فيتمكن المعنى فيها ويقر، ولا يكون ذلك إلا في الأمور المهمة التي يحرص

(١) شرح أحاديث من صحيح البخاري: صـ٣٦٢.
(٢) ينظر: خصائص التراكيب: ص١٩٥.

المتكلم على تثبيتها وترسيخها في الوجدان، حتى يشتد الحرص والإقبال على امتثالها، والانصياع لها.

وقد جاءت "من" التبعيضية في قوله-ﷺ- :(من الأعمال)؛ لتوحي بأنَّ فعل القليل من العمل مع المدوامة عليه خير من فعل الكثير مع الانقطاع.

وقد وقع قوله-ﷺ-:(فإن الله لا يمل) مشاكلة لقوله-ﷺ-:(حتى تملوا)، حيث وقع نفي النبي -ﷺ- الملل عن الله مصاحبا لوقوع الملل من المسلمين حقيقة، لفتًا وتنبيهًا إلى إن الله- عز وجل- لا يقطع ثوابه وفضله عن عباده، حتى ينقطعوا عن العمل به بالملل الذي هو من شأنهم؛ لأن الملل لا يجوز على الله ولا هو من صفاته، وإنما أخبر بالملل عنه – تعالى- للمساواة بين قسمي الكلام، كما قال – تعالى -: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الأنفال: ٣٠

الحديث الثاني:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ-: «لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ» قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلاَ أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ، سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا»(١)

(١)صحيح البخاري، كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ القَصْدِ وَالمُدَاوَمَةِ عَلَى العَمَلِ، حديث رقم ٦٤٦١، ٩٨/٨. ومسلم ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله رقم ٢٨١٦، ٢١٦٩/٤، واللفظ للبخاري.

الدين الإسلامي دين مبني على اليسر والوسطية لا على الغلو ولا المغالاة ، فقد حث على الاعتدال، والأخذ به ؛ لأن الإفراط يذهب بالنفس إلى عدم مواصلة العمل، وربما الانقطاع منه، ولذا يقول ابن المنير : (في هذا الحديث علم من أعلام النبوة فقد رأينا ورأي الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع ، وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة ، فإنه من الأمور المحمودة ، بل منع الإفراط المؤدي إلي الملال) [1] **، ولذا يحث النبي ـ ﷺ ـ على تحري أوقات النشاط ؛ ليكون العبد أقدر على المداومة على العبادة من غير مشقة ، وليعمل بتلطف، وتدرج ليدوم عمله ولا ينقطع.**

ولذا جاءت جملة:(وَالقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا) بالنصب على الإغراء أي: ألزموا الطريق الأوسط المعتدل؛ تنبيها من النبي ـ ﷺ ـ للمخاطبين على التحلي بصفتي الاعتدال، والوسطية في أمور العبادة، والشد على أيديهم في المداومة على العمل القليل الدائم الذي هو خير من الكثير المنقطع، ولكي يتجنب المسلم الإفراط، والتفريط فعليه بالقصد، فلا يبالغ في فعل العبادة والطاعة ؛ « لئلا يملَّ فيترك ، ولا يتركها كسلاً وتهاونًا لئلا يستمرئ الترك فلا يرجع ، وكلا الأمرين ذميم ، ومن توسط في الأمر سلك ، ومن سلك وصل إلى ما يحبه الله ويرضاه »[2] **، والمراد من القصد ما هو فوق التفريط، ودون الغلو، وهو ما يسمى بالتوسط، فإذا وقعت العبادة**

---

(١)سنن النسائي، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وبحاشية الإمام الجليل السندي ، دار القلم . بيروت،٨/٢٢٠.

(٢)شرح كتاب الرقاق من صحيح البخاري، لأبي هاشم صالح بن عوّاد بن صالح المغامسي، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية،٣/٣.

من العبد قصدًا ليس فيها تفريط ولا غلو، فهذا يدفعه إلى عدم الإعياء والملل، فإذا لم يوجد الإعياء، والملل وجد الاستمرار والمداومة، وهذا ما نص عليه النبي ـ ﷺ ـ عندما سئل فقيل :أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: أدومها وإن قل) [١]، وإنما أمر النبي ـ ﷺ ـ بالقصد في العبادة ذلك لأن من طبيعة النفس البشرية استثقال العبادة، والملل من الإكثار منها ؛ كما كرر النبي – ﷺ– المغرى به(وَالقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا)؛ لبيان حرصه على أهمية المأمور به، وامتثاله ، والعمل بمضمونه، والتأكيد على تثبيته في العقول والقلوب.

وقد بنيت جملة الإغراء :(وَالقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا)؛ على الإيجاز بالحذف؛ إذ التقدير :"الزموا القصد القصد "، فحذف فعل الإغراء؛ اكتفاءً بالمغرى به؛ لأن المحذوف معلوم ؛ تركيزًا على المأمور به ، وتسليطًا للضوء عليه ؛ لأنه الأهم والأجدى في حق المخاطبين مع ما في الحذف من إثارة للفكر، والوجدان بالتعويل على فطنة المتلقي، وقدرته على الفهم والاستنباط ، مع المسارعة بذكر المطلوب ، وكمال العناية به ؛ ليتلقى بما ينبغي أن يتلقى به من الامتثال و القبول .

وأصل: (تَبْلُغُوا) من البلوغ، وقد وضع في أصل اللغة للوصول، والانتهاء إلى الشيء المطلوب[٢]، والمعنى هنا تصلون المنزل الذي هو مقصدكم، وإنما حذف المفعول به؛ للعلم به ، والتركيز على أمر الوصول إلى الهدف المنشود.

---

(١)صحيح البخاري، كتاب الرقاق، بَابُ القَصْدِ وَالمُدَاوَمَةِ عَلَى العَمَلِ، حديث رقم٦٤٦٥، ٨، ٩٨.

(٢)لسان العرب، مادة(بلغ).

وقد وقع الفعل المضارع (تَبْلُغُوا) ، مجزوما بجواب الأَمر؛ الذي دل عليه في جملة الإغراء وهي مسببة عن الجملة الطلبية، وهذا يبرز مدى التعانق، والتلازم بين الجواب، وفعل الشرط؛ مما يعكس رغبة النبي -ﷺ- في سرعة حصول المطلوب، والمقصود، والتعبير بالجملة الطلبية يبعث على الإثارة، والتشوق إلى الجواب وقوفًا عليه، وتحصيلاً لمدلوله، حتى إذا ما استقر الجواب في النفس تمكن فيها فضل تمكن، ومن ثم فإن ملازمة الوسط، والاعتدال في أمور العبادة تدفع المسلم إلى المداومة عليها، وتوصله إلى هدفه المقصود.

وقد جاءت جملة الإغراء:(وَالقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا) في نهاية الحديث؛ لتكون آخر ما يقرع السمع، ويعلق في الذهن، ويثبت في القلب، وذلك بعد سلسلة من الجمل تتابعت، وتعانقت، واتحدت في التمهيد لها، بدأها النبي-ﷺ-بالنفي(لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ)، وهذه الجملة فيها مزيد ترهيب، وتحذير من الاتكال على العمل، والاغترار به سواء أكان العمل قليلا أو كثيرا، وسواء أكان في الماضي أو في الحاضر، ولأنه لما كان العمل مظنة النجاة يوم القيامة من النار كان لزاما أن يأتي النفي قويا مؤكدا؛ ليقتلع كل ظن ، ويرد كل اغترار ، ولذلك ذهب الطيبي إلي أن النفي بـ (لن) يقتضي رد المخاطبين فيما اعتقدوه من أن النجاة في العمل، فيجب الاتكال عليه، والاستقصاء فيه، والمواظبة عليه ليلا ونهارا، فردهم النبي . ﷺ . بقوله : (لَنْ يُنَجِّي أَحَدًا مِنْكُم عَمَلُهُ) ، وأجاب عن سؤالهم بما أجاب[1].

(١) ينظر شرح الطيبي ٥/ ١٣٩ بتصرف .

ويؤكد الإمام الطيبي، وينص علي إفادة (لن) التأكيد ، فيقول : (وإنما قلنا : إن (لن) تقتضي رد المخاطبين فيما اعتقدوه ، لأن (لن) في تأكيد النفي مقابلة للسين في الإثبات ولذلك يقول صاحب الكشاف : لا ولن أختان في نفي المستقبل إلا أن في (لن) تأكيدا وتشديدا تقول لصاحبك : لا أقيم غدا ، فإن أنكر عليك قلت : قلت : لن أقيم غدا كما تفعل في أنا مقيم وإني مقيم) (١).

وقد جاءت أداة النفي مسلطة على فعل النجاة تخليصا للاستقبال؛ لأن النجاة أمر متعلق بيوم القيامة، ودخول النفي على الفعل من باب التعبير باللازم، وإرادة الملزوم، حيث عبر بالنجاة المراد بها النجاة من الموقف والنار والحساب يوم القيامة وأراد دخول الجنة بالعمل؛ إشارة إلى شدة هول الموقف الذي يقف فيه العبد بين يدي الله للحساب والجزاء.

وتقديم المفعول(أحد) على الفاعل(عمله)؛ أفاد العناية والاهتمام؛ إشارة إلى أن نفي وقوع النجاة بالعمل يقع على كل عبد ؛ لذا أفادت النكرة(أحد) الواقعة في هذا السياق العموم والشمول؛ ليشمل الحكم جميع المسلمين.

وإسناد فعل النجاة إلى الفاعل (عمله) مجاز عقلي علاقته السببية؛ إشارة أن العمل له دور في دخول الجنة، ونفي السبب بحرف النفي(لن)، فيه دلالة على قلته، وأنه مهما كثر وازداد، فلن يصل إلى نعمة واحدة من نعم الله على عبادة.

---

(١) شرح الطيبي، ٥ /١٤٠ ، وينظر تفسير المسمي بمدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام / أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمد النسفي تحقيق / سيد زكريا مكتبة نزار مصطفي بازة بمكة المكرمة الطبعة الأولي . ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م . ٣٦/١

وليس المراد من نفي العمل في الحديث التقليل من شأنه، والتحقير من أمره، ونفي فائدته، وثمرته ، فالعمل علامة علي وجود الرحمة التي تدخل العامل الجنة ، وإنما جاء النفي علي تلك الصورة منصبا علي العمل لتوقيف العباد علي أن العمل إنما يتم بفضل الله ورحمته ، لئلا يتكلوا اغترارا بها ، فإن الإنسان ذو سهو ونسيان، وعرضه للآفات ، قلما يخلص له عمل من شائبة رياء ، أو فساد نية ، ثم إن سلم له العمل عن ذلك ، فلا يسلم إلا برحمة من الله ، فأني له أن يستظهر بعمل لم يهتد إليه إلا برحمة من الله وفضل منه.

ثم إن الصحابة لما سمعوا هذا الحكم من النبي ـ ﷺ ـ بادروه بالسؤال؛ لأنهم يعلمون أنه أكثرهم أجرا، وأعظمهم عملا، فقالوا: : (وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟) ، ووجه تخصيص الرسول ـ ﷺ ـ بالذكر أنه إذا كان مقطوعا له بأنه يدخل الجنة، ثم لا يدخلها إلا برحمة الله، فغيره يكون في ذلك بطريق الأولي.

ثم جاء الجواب منه: (وَلاَ أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ) ، وكان مقتضى الظاهر أن يقول: ولا إياي؛ لكنه عدل عن ذلك؛ ليتطابق مع الضمير في قوله ـ ﷺ ـ: (ولا أنت)،وفي هذا العدول انتقال من الجملة الفعلية إلي الجملة الاسمية ، فيكون التقدير : ولا أنا ممن ينجيهم عملهم ، وقد جاء هذا العدول استبعادا عن هذه النسبة إليه ـ ﷺ ـ .

ومعنى قوله ـ ﷺ: "(إلا أن يتغمدني الله)": إلا أن يحفظني برحمته كما يحفظ السيف في غمده, ويجعل رحمته محيطة بي إحاطة الغلاف بما يحفظ فيه؛ ومن ثم ففي قوله–صلى الله عليه وسلم–:(يَتَغَمَّدَنِي) استعارة تصريحية، حيث شبه ستر الله للإنسان بالرحمة، والمغفرة بستر الغمد

للسيف؛ بجامع الحفظ والستر، والإحاطة، وحذف المشبه، وصرح بالمشبه به، وتنوسي التشبيه، وادعي أن المشبه من جنس المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، إشارة إلى شمول رحمة الله- سبحانه وتعالى- للإنسان من كل جانب، ومدى إحاطتها به، وحفظها له، ولذا جاء التنكير في كلمة(رحمة)؛ ليبين مدى سعة تلك الرحمة، وعظيم قدرها على العبد، فرحمة واحدة كفيلة أن تنجيه من هول يوم القيامة، وشدة الموقف.

ثم لم يلبث النبي ـ ﷺ ـ إلا أن أرشد الصحابة، والأمة من بعده إلى المنهج الأمثل في العبادة فقال: سددوا، والسداد في أصل اللغة، الاستقامة، والقصد في العدل، وهذه هي المرتبة العليا في الذي أمر بها ديننا الحنيف في قوله- تعالى-: ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ ﴾ هود: ١١٢، والغرض من التعبير بالأمر، هو الحث والحض على إلزام السداد، وهو التوسط في الدين من غير إفراط ولا مبالغة، ثم تأتي المرتبة الثانية، وهي مرتبة المقاربة، وهي التي حث عليها المولى- سبحانه وتعالى- في قوله- تعالى-: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾ التغابن: ١٦، وقد عطف فعل المقاربة على فعل التسديد؛ لما بينهما من التوسط بين الكمالين، حيث اتفقت الجملتان في الإنشائية معنى؛ والغرض من هذا الوصل هو التأكيد على العمل بالسداد، والأخذ به ، فإن عجز المرء عن مرتبة السداد لم يعجز عن المقاربة.

ثم يرشدنا النبي ـ ﷺ ـ كما في بعض الروايات إلى ما يجب التلبس به في المرتبتين، وهو والتفاؤل، والبشارة، وحسن الظن بالله – سبحانه وتعالى- فقال(وأبشروا)، وفيه دليل على أن يقرن العبد طاعته لله- عزوجل-

بحسن الظن بالله ، وقد حذف المبشر به في قوله ـ ﷺ ـ (وأبشروا)؛ لأن في إبهامه تعظيمًا وتضخيما له ، والتقدير : أبشروا معاشر أمه محمد ـ ﷺ ـ خاصة بأن الله – تعالي– رضي لكم الكثير من الأجر بالعمل القليل دون سائر الأمم.

وفي بعض روايات الحديث عطف فعل الاستعانة على فعل البشارة، فقال: (واستعينوا) [1]، والعطف هنا يؤكد مدى احتياج النفس إلى الاستعانة؛ لأنها قد تصاب بالاكتئاب، فيكون ملجؤها وملاذها في الاستعانة بالله.

وقوله– صلى الله عليه وسلم–: (وَاغْدُوا[2] وَرُوحُوا[3]، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ)،الغدوة: هو الوقت الذي يبدأ من بعد صلاة الفجر إلى نهاية صلاة الضحى، والروحة هو الوقت الذي يبدأ من بعد صلاة العصر إلى قبيل المغرب، وشيء من الدلجة هو الوقت الذي يكون في السحر آخر الليل؛ وقد خص النبي ـ ﷺ ـ الأوقات الثلاثة بالذكر دون غيرها ؛ لأنها أطيب الأوقات، ولأن البدن يكون فيها أكثر نشاطا ، والقلب يكون أكثر فراغا فيها عن غيرها ومن ثم يكون الإنسان أقدر علي الطاعة ، وأكثر إقبالا عليها ، واستلذاذا لها فضلا على ذلك، فإنها أكثر بركة، وأعظم غنيمة

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، حديث رقم٣٩،١/٤٣.

(٢) الغدوة : المرة من الغدو وهو سير أول النهار **النهاية في غريب الحديث والأثر**، للإمام / مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثر الجزري تحقيق / أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عطية بن عويضة، دار الكتب العلمية . بيروت الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .جـ٣ صـ٣١١.

(٣) الروحة، الروحة : المرة من الرواح وهو سير آخر النهار، ينظر غريب الحديث ، لأبي الفرج عبد بن علي بن الجوزي ، تحقيق د/ عبد المعطي أمين قلعجي دار الكتب العلمية . بيروت الطبعة الأولي ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م . جـ١ /٤١٩.

للثواب، وإن قل فيها العمل، ولعل اختيار تلك الأوقات دون غيرها؛ لأنها هي التي يمكن يستعان بها على التسديد، والقصد في العبادة، ولك أن تنظر إلى الفرق بين الأوقات الثلاثة ، ففي وقت الغدة والروحة شيء من الحركة والنشاط، وانهماك في شواغل الحياة، وقد جاء فضلهما من كونهما وقت انشغال وغفلة فمن أقبل على الله – تعالى – في أوقات الغفلة، وانصراف الناس كان مغتنما لأفضل الأوقات، والمتأمل في الحديث يجد أن أوله دل على آخره، وآخره مرتبط بأوله، فقد جاء مطلع الحديث مقررا عدم الاتكال على العمل والاغترار بكثرته، وجاءت خاتمته تبين الأخذ بمبدأ الاعتدال، والقصد في العمل وعدم تحمل النفس ما لا تطيق.

خامسا:

الإغراء في الرفق بالقوارير

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ: أَتَى النَّبِيُّ - ﷺ- عَلَى بَعْضِ نِسَائِهِ وَمَعَهُنَّ أُمُّ سُلَيْمٍ، فَقَالَ: «وَيْحَكَ [ص:٣٦] يَا أَنْجَشَةُ، رُوَيْدَكَ سَوْقًا بِالقَوَارِيرِ» قَالَ أَبُو قِلاَبَةَ: فَتَكَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَلِمَةٍ، لَوْ تَكَلَّمَ بِهَا بَعْضُكُمْ لَعِبْتُمُوهَا عَلَيْهِ، قَوْلُهُ: «سَوْقَكَ بِالقَوَارِيرِ»(١).

يحث النبي- ﷺ- في هذا الحديث الشريف على حسن معاملة النساء، ويؤكد الوصية بهن؛ وذلك لضعفهن، حيث إن الإبل إذا سمعت

(١)صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه، حديث رقم٨،٦١٤٩/٣٥. صحيح مسلم، كتاب الفضائل باب رحمة النبي- صلى الله عليه و سلم- للنساء وأمر السواق مطاياهن بالرفق بهن حديث رقم ٢٣٢٣، ١٨١١/٤، واللفظ للبخاري.

الحداء أسرعت في المشي، واشتدت، فأزعجت الراكب، وأتعبته، فنهى النبي- ﷺ- أنجشة عن ذلك؛ لأن ذلك يضعف حركتهن.

وقد نبه النبي- ﷺ- خادمه أنجشة عن طريق أسلوب الإغراء في قوله:(رويدك) إلى الرفق بالنساء؛ لأنها ضعيفات رقيقات سرعان ما يتأثرن بالصوت، ويفتتن بالصوت الحسن الجميل، وكأنه يقول له: أرفق بالنساء، فلا تنشد كثيرا، فتهرول الإبل، فتسقط القوارير من عليها؛ لذا كان التعبير باسم الفعل المغرى به في حاق موضعه.

يقول ابن القيم تعليقا على هذا الحديث: « ومن الأمر المعلوم عند القوم: أن المرأة إذا استصعبت على الرجل اجتهد أن يسمعها صوت الغناء، فحينئذ تعطى الليان، وهذا لأن المرأة سريعة الانفعال للأصوات جداً، فإذا كان الصوت بالغناء، صار انفعالها من وجهين: من جهة الصوت، ومن جهة معناه، ولهذا قال النبي- ﷺ- لأنجشة حادية:"يَا أَنْجَشَةُ، رُوَيْدَك رِفْقاً بِالْقَوَارِيرِ": يعنى النساء »[(١)].

ولفظة (رويدك) التي هي موضع النظر في الحديث الشريف تأولها شراح الحديث على وجوه:

أ- أن رويدك منصوبة على الإغراء[(٢)]، وحذف فعل الإغراء من الحذوفات الواجبة[(٣)]،ولعل ذلك لما في التصريح به من تفويت

---

(١)إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٩١ – ٧٥١)حققه: محمد عزير شمس، خرج أحاديثه: مصطفى بن سعيد إيتيم، الناشر: دار عالم الفوائد – مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ،٢٤٧/١.

(٢)فتح الباري،٥٤٥/١.

(٣)أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام الأنصاري ،١١٤/٣.

المراد، والمقصود من الإغراء، فعنصر السرعة في المغرى به هو الذي يقوم عليه حذف العامل.

ب- أن رويدك مفعول به لفعل محذوف تقديره: الزم رفقك[١].

ج- رويدك منصوب على الصفة بمصدر محذوف، أي سق سوقا رويدا، أو أحد حدوا رويدا[٢].

د- أن رويدا مصدر لفعل محذوف من جنسه والتقدير: أرود رويدك[٣].

ويلاحظ أن المحذوف- رغم تنوع الاحتمالات- واحد وهو الفعل، والغرض من ذلك تكثير المعنى، والإشعار باللهفة، وأن الزمن يتقاصر عن ذكر المحذوف؛ لأن المقام مقام سفر، بالإضافة إلى أن الحذف في الحديث أعطى الأمر بالتمهل خفة ملحوظة.

ثم يصل التركيب إلى جملة:(سوقا بالقوارير) والتي تمثل مع سابقتها المقصود الأعظم من الحديث الشريف، وهو الترفق بالنساء، وهي منصوبة على نزع الخافض، أي ارفق في سوقك، أو سقهن كسوقك، أو مفعول به لرويدا، أو منصوب على الإغراء بقوله: ارفق سوقا، أو على المصدر: أي سوق سوقا[٤].

وهي بذلك تتكاتف مع قوله- ﷺ-:(رويدك) في تنبيه المخاطب إلى العناية بالنساء، والرفق بهن لما يعرف عنهن من الضعف والرقة، فإنهن رقيقات يتأثرن بالصوت الحسن؛ لذا كان وصفهن بالقوارير من البلاغة

---

(١)فتح الباري،١/٥٤٤.

(٢)المنهاج شرح صحيح مسلم١٥/٨٠.

(٣)فتح الباري،١/٥٤٤.

(٤)فتح الباري،١/٥٤٤.

بمكان، حيث كنى عن النساء بالقوارير لرقتهن، وضعفهن عن الحركة، والنساء يشبهن بالقوارير في الرقة واللطافة، وضعف البنية[١]، والتعبير بالكناية أفاد من الحض على الرفق بالنساء في السير ما لم تفده الحقيقة لو قال: ارفق بالنساء.

ولا يخفى ما في الكناية من تصوير مؤثر في النفس؛ لأنها تبرز المعنى الذهني المجرد في صورة محسة ملموسة، وتعطي المعنى مصحوبا بدليله وبرهانه، فهي تؤكد أن النساء رقيقات مثل القارورة أسرع تأثرا.

وهكذا سلك النبي- ﷺ- بالمعنى مسلكا بيانيا رفيعا قد اشتمل على صورة حسية، تظل عالقة بالذهن، حاضرة أمام العين، تكتنفها ظلال موحية، وتومئ إلى المعنى إيماء لطيفا، وتوحي به إيحاء يؤكد عمق المعنى، ويشوق إليه.

وقيل إن التعبير بالقوارير من قبيل الاستعارة من قبيل الاستعارة؛ حيث شبه النساء بالقوارير لضعف عزائمهن[٢]، وحذف المشبه، وتنوسي التشبيه، وادعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية؛ مبالغة في ضعف النساء الشديد الذي خلقت عليه المرأة، وبلاغة تلك الاستعارة منبعثة من تصويرها النساء تصويرًا حسيًّا بديعًا، فأضاف بعدًا من الأبعاد التي يجب أن يكون الرجل منها على ذكر في نظرته للمرأة، وتعامله معها، وهو بعد الضعف سرعة التأثر، وأن ما ينكسر من خاطرها، ويجرح من مشاعرها قد لا يقبل الجبر، أو التضميد، وفي الوقت ذاته ألزمت الاستعارة بكل هيئاتها على إخراج المرأة،

(١)السابق،١/٥٤٤.

(٢)المنهاج شرح صحيح مسلم، ١٥/٨١.

وتنشئتها، وتعهدها بالتربية، والرعاية كالقارورة في شفافيتها، وسرعة تأثرها، وألا تصل إليها يد العابثين؛ لأنها كزهرة لا تتحمل الفرك، وكأن تربية الإسلام لها لا تكون إلا على هذه الحالة من رهافة الحس، وسمو الحس، ونبل الخلق، وأكرم بها من تربية.

هذا وقد استهل النبي- ﷺ- حديثه بما كان تمهيدا لأسلوب الإغراء، وما جاء بعده من كلام، حيث طرق على أذن المخاطب طرقة تنبيه بقوله: (ويحك يا أنجشة)؛ ليكون على أتم استعداد، وأوفر تهيئة لما يلقى عليه من أمر كلمة (ويح) في هذا الحديث مضافة إلى ضمير الخطاب تعمل على تضاعف التنبيه، وإيقاظ وعيه، واستحضار ذهنه، واستجماع حواسه، فـ(ويح) و(الويل) كلمتان استعملتهما العرب بمعنى التعجب، والتوجع، والتفجع، والتحسر، والتحسر، والترحم، والإشفاق، وحكى عن سيبويه أن الويل يقال في الهلكة، والويح زجر لمن أشرف على الهلكة، وعن الأصمعي أن الويل قبوح، والويح ترحم، وأصل الويل: العذاب والمشقة وشدة الشر، وحلول البلية، والفضيحة، والويل: الهلاك يدعى به لمن وقع في هلكة يستحقها، فإن وقع في هلكة لم يستحقها قلت(ويح) ترحما، وتوجعا عليه، ودعاء له بالتخلص منها، وويل: واد في جهنم، وقيل: باب من أبوابها[1]،ومن هنا ندرك رقة هذا الزجر ولينه حين أوثر التعبير بويحك دون ويلك؛ لأن المقام مقام رحمة النساء في السفر.

(١)لسان العرب،:مادة(ويح)، و(ويل)، ومن قال إن الويل واد في جهنم، فإنه لم يرد أن ويلا في اللغة هو موضوع لهذا، وإنما أراد من قال الله- تعالى- ذلك في حقه، فقد استحق مقرا من النار، ويثبت ذلك له تسمية للمحل بوصف من حل فيه مجازا مرسلا: ينظر المفردات: صـ٥٥٠،(ويل)، وحاشية محي الدين زاده على تفسير القاضي

ويأتي النداء في قوله- ﷺ-:(يا أنجشة)؛ ليلفت انتباهه إلى الأمر الذي يلقى عليه، وفي استخدام(يا) بصوتها المفتوح المتسع؛ مبالغة في طلب الالتفات، وزيادة في الحث على الإقبال احتفاء بأمر المنادى له.

سادسا:

إغراء سيدنا جابر- رضي الله عنه- في إتيان أهله بعد العودة من السفر أو الغزو.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ - ﷺ- فِي غَزَاةٍ، فَأَبْطَأَ بِي جَمَلِي وَأَعْيَا، فَأَتَى عَلَيَّ النَّبِيُّ - ﷺ- فَقَالَ «جَابِرٌ»: فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» قُلْتُ: أَبْطَأَ عَلَيَّ جَمَلِي وَأَعْيَا، فَتَخَلَّفْتُ، فَنَزَلَ يَحْجُنُهُ بِمِحْجَنِهِ ثُمَّ قَالَ: «ارْكَبْ»، فَرَكِبْتُ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ أَكُفُّهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ- ، قَالَ: «تَزَوَّجْتَ» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «بِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا» قُلْتُ: بَلْ ثَيِّبًا، قَالَ: «أَفَلاَ جَارِيَةً تُلاَعِبُهَا وَتُلاَعِبُكَ» قُلْتُ: إِنَّ لِي أَخَوَاتٍ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتَزَوَّجَ امْرَأَةً تَجْمَعُهُنَّ، وَتَمْشُطُهُنَّ، وَتَقُومُ عَلَيْهِنَّ، قَالَ: «أَمَّا إِنَّكَ قَادِمٌ، فَإِذَا قَدِمْتَ، فَالكَيْسَ الكَيْسَ»[1]

الحديث الشريف يظهر أن سيدنا جابر – رضي الله عنه- كان حديث عهد قريب بالزواج وقد خرج مع النبي – ﷺ- في غزوة، وكما هو واضح من الحوار الذي دار بينه وبين رسول الله- ﷺ- أنه آثر التزويج

البيضاوي، ت: محمد عبدالقادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.،١٢٤/٢.

(١) صحيح البخاري، كِتَابُ البُيُوعِ، بَابُ شِرَاءِ الدَّوَابِّ وَالحُمُرِ، وَإِذَا اشْتَرَى دَابَّةً أَوْ جَمَلًا وَهُوَ عَلَيْهِ، حديث رقم٢٠٩٧،٣/٦٢، وصحيح مسلم، كِتَابُ الرِّضَاعِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ نِكَاحِ الْبِكْرِ، حديث رقم٧١٥،٢/١٠٨٩، واللفظ للبخاري.

من ثيب حتى تقوم على رعاية أخواته، والاهتمام بشأنهن ، وقد بين أثناء هذا الحوار بعض آداب العائد من الغزو، والسفر، فأوصاه بأنه إذا دخل على أهله أن يطأها؛ رغبة في الإتيان بالولد، حيث قال له: «أَمَا إِنَّكَ قَادِمٌ، فَإِذَا قَدِمْتَ فَالْكَيْسَ الْكَيْسَ» والتعبير بـ(أما) التنبيهية التي لا تقع في الكلام الفصيح إلا مقدمة لأمر ذي بال، يهيئ بها نفس متلقيها، ويحضرها، ويستفتح منها نوافذا الحس، ويوقظ بها غوافي الإدراك [1]، وهي مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لإعطاء معنى التنبيه على تحقيق ما بعدها ومخاطبته – ﷺ– له بها يدل على أنه أراد يلقي في نفس سيدنا جابر– رضي الله عنه– أمرًا مهمًّا، وشيئًا ضروريًا يتطلب منه العناية به، وعدم الغفلة عنه ؛ ألا وهو الدخول على زوجه ومجامعتها؛ ليتأتى الولد الذي يكون سندا، وعونا له بعد الله– عزوجل–، والتعبير بـ(إنَّ) المؤكدة ، وتوجيه الخطاب إليه مباشرة في قوله– ﷺ– : « إِنَّكَ قَادِمٌ) يدل على رغبة النبي– ﷺ– في تقوية مضمون الكلام عند سيدنا جابر– رضي الله عنه–، وتقريره في نفسه، وأن القدوم على الزوجة أمر واقع ومحقق؛ لذا عبر– ﷺ– باسم الفاعل(قادم) الذي يدل على ثبوت الأمر ، ووقوعه، إذ كان بعد الغزوة مباشرة ، فمن المعلوم أن الإنسان يعود إلى بيته بعد الانتهاء من قتال العدو، وقوله– ﷺ– : «فإذا قدمت.. » " جاءت الفاء بسرعتها البارقة؛ لتعطف كلاما على كلام، وترتب كلاما على كلام ؛ و لتنقلنا من مسرح أرض المعركة إلى مسكن الزوجية في بيت جابر– رضي الله عنه– ، إيماءً إلى المبادرة بهذا الطلب

(١)الإعجاز البلاغي. دراسة تحليلية لتراث أهل العلم. أ.د/ محمد أبو موسى – مكتبة وهبة – ط: الثانية ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م.صـ٥٠.

اللاهث الملحّ ألا وهو أنه إذا دخل على زوجه فليبادرها بالجماع، وجاء التعبير بـ(إذ) الشرطية ؛ لأنها لا تدخل إلا على المتيقن، أو ما في معناه(١)، وذلك لقطعية وقوع الشرط فيها(٢)؛ ولذا كان الغالب في الفعل المستعمل معها أن يكون بلفظ الماضي؛ للإشعار بتحقق الوقوع، والتعبير بالقدوم في قوله:(قدمت) مجاز مرسل علاقته السببية، حيث عبر بالسبب، وأراد المسبب؛ فالدخول على الزوجة مسبب عن الإقدام عليها ؛ إذا لا يتحقق دخول إلا بعد إقدام ، وهذا فيه إشارة إلى أهمية السبب، ،لأنه السبيل إلى تحقيق الدخول، وقوله فالكيس الكيس أسلوب إغراء؛ قصد به تنبيه سيدنا جابر – رضي الله عنه– وحثه على أمر محمود ليفعله، وقد اختلف في معنى المغرى به كما ذكر ابن حجر (٣)، فقيل معناه الجماع، فكأنه – ﷺ– يحثه على الجماع، وهذا فيه إشارة إلى إعطاء أول حق للزوجة بعد العودة من الغزو أو السفر من الجماع؛ لأن به تعود الألفة والمحبة بين الزوجين، أو لأن النبي– ﷺ– حثه على الجماع؛ لأنه أراد إلى ما وراءه من الولد؛ فكأنه يرغبه فيه، ولأن جابرا كان حديث عهد بالزواج، فأراد– ﷺ– أن يذكره بأهم غايات الزواج، وهو إنجاب الولد، وقيل المعنى على التحذير من ترك الجماع؛ لأنه آكد حقوق الزوجية؛ خاصة أن زوج جابر– رضي الله عنه– كانت ثيبا، ، فأراد النبي– ﷺ– أن يذكره بحقها عليه، وقيل إن المراد من المغرى به

---

(١) ينظر : البرهان في علوم القرآن : للزركشي ت : محمد أبو الفضل إبراهيم – مكتبة دار التراث . بالقاهرة – بدون : ٤/٢٠٠ .

(٢)بغية الإيضاح، الشيخ عبد المتعال الصعيدي – مكتبة الآداب – ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م ،١٤١/١.

(٣) فتح الباري،٣٤٢/٩.

العقل، فكأنه بذلك يحثه على إعمال العقل والحلم عند الدخول على أهله بأن يراعي حالهم من حيث الطهر، والحيض؛ لأن المرأة في وقت الحيض ينتابها قلق شديد، واضطراب، وشعور بالضيق، والضغط، واليأس وتقلبات مزاجية، ومشاكل في التفكير، إلى غير من الأمور، ومن ثم فالأولى أن يستعمل الزوج العقل لا الانجراف والاندفاع إلى الشهوة.

وقد حذف المسند من جملة الإغراء، والتقدير: «فَإِذَا قَدِمْتَ فَالزم الْكَيْسَ الْكَيْسَ» ، للعلم به، ولدلالة القرينة عليه، وصرف الذهن إلى المغرى به، والتركيز على الاهتمام بشأنه، والعمل بمضمونه.

وقد كرر النبي- ﷺ- المغرى به، - وكان يمكن أن يكتفى بذكره مرة واحدة-؛ تأكيدا على معناه، وترسيخا له في النفس ، وحرصا على التمسك به.

سابعا:

إغراء الأحباش اللعب الحراب في مسجد رسول اللّه- ﷺ-

عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ، تُغَنِّيَانِ بِغِنَاءِ بُعَاثٍ، فَاضْطَجَعَ عَلَى الْفِرَاشِ، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَانْتَهَرَنِي، وَقَالَ: مِزْمَارُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ: «دَعْهُمَا»، فَلَمَّا غَفَلَ غَمَزْتُهُمَا فَخَرَجَتَا، وَكَانَ يَوْمَ عِيدٍ يَلْعَبُ السُّودَانُ بِالدَّرَقِ وَالْحِرَابِ، فَإِمَّا سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَإِمَّا قَالَ: «تَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ؟» فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَأَقَامَنِي وَرَاءَهُ، خَدِّي عَلَى

خَدِّهِ، وَهُوَ يَقُولُ: «دُونَكُمْ يَا بَنِي أَرْفِدَةَ» حَتَّى إِذَا مَلِلْتُ، قَالَ: «حَسْبُكِ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَاذْهَبِي»(١).

قول النبي-ﷺ-: «دُونَكُمْ يَا بَنِي أَرْفِدَةَ» هو موضع الشاهد في هذا الحديث الشريف، والخطاب فيه لجماعة الأحباش الذي كانوا يلعبون في المسجد، وقد رغبت السيدة عائشة- رضي الله عنها- في مشاهدة ما يقومون به من ألعاب بالحراب، فأمرهم بالاستمرار فيها، وجاء الأسلوب مبنيا على الإغراء؛ ولفظة دونكم من ألفاظ الإغراء، ومعناها ألزموا، وحذف المغرى به، وتقديره: عليكم بهذا اللعب الذي أنتم فيه، وقد حذف المغرى به؛ للعلم به؛ لأن الغرض التركيز على الاستمرارية على اللعب الذي يلعبونه حتى تنظر السيدة عائشة- رضي الله عنها- إليه، وقد زاد من أهمية طلبه -ﷺ- أن ناداهم بعنصر اللفت والتنبيه (يا)؛ الموضوعة للبعيد؛ حتى لا يغفلوا عن ما أغراهم فيه، وبنو أرفدة، لقب الحبشة، أو اسم أبيهم الأكبر.

(١)صحيح البخاري، أبواب العيد، بَابُ الحِرَابِ وَالدَّرَقِ يَوْمَ العِيدِ، حديث رقم٩٤٩، ٢، ١٦/٩٥٠، و مسلم في العيدين باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه رقم ٨٩٢، ٢/٦٠٧.

المطلب الثالث:

اجتماع أسلوبي الإغراء و التحذير في الصحيحين

المطلب الثالث:

اجتماع أسلوبي الإغراء و التحذير في الصحيحين

ورد في بعض المقامات مما جاء في أحاديث الصحيحين اجتماع أسلوب التحذير مع أسلوب الإغراء؛ ليجتنب المخاطب المحذر منه، ويفعل الأمر المغرى به، وسيقف بمشيئة الله- تعالى- مع دراسة هذا النمط التعبيري لكشف أسراره البلاغية في سياقه ومقامه، وجاء مرتبا على النحو الآتي:

أولا: الإغراء في الصدق، والتحذير من الكذب.

ثانيا: الإغراء في الرفق، والتحذير من العنف.

أولا:

الإغراء في الصدق، والتحذير من الكذب

روى عَبْد اللهِ بْن مَسْعُودٍ- ﷺ-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ-: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا»(١).

يدعو النبيُّ- ﷺ- في هذا البيان الشريف أمته إلى التحلي بخلق من الأخلاق الحميدة، وخصلة من الخصال الكريمة، ألا وهي الصدق فهو خُلُقٌ كريم، ووصف عظيم، ودعامة أساسية في خلق الإنسان المسلم،

(١) صحيح مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالآدَابِ بَابُ قُبْحِ الْكَذِبِ وَحُسْنِ الصِّدْقِ وَفَضْلِهِ، حديث رقم (٢٦٠٧)،ج٤/٢٠١٣.

وصبغة ثابتة في سلوكه، بها تكتسب الحسنات، وتجتنب السيئات، ويصل المسلم إلى أعلى مراتب الجنة ودرجاتها, كما يحذر أمته من صفة هي من أخبث الصفات، وأقبحها عند الله ألا وهي الكذب ،فهو عمل مرذول، وصفة ذميمة، وجماع كل شر، وأصل كل ذم لسوء عواقبه، وخبث نتائجه، ينتهي بصاحبه إلى النار.

وبناء المعنى في هذا الحديث الشريف قائم على المقابلة، فكأن له خطين متوازيين ومختلفين أشد الاختلاف، وقد استهل النبيُّ-ﷺ- بيانه الشريف بأسلوب من أساليب اللفت والتنبيه ألا وهو الإغراء في قوله: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ »، لينبه المخاطبين إلى التحلي بتلك الفضيلة، والتمسك بها في حياتهم قولاً واعتقادًا وعملاً إذ هو فضيلة الفضائل، وأنس الخلائق يقوم عليه نظام الاجتماع، وترتيب الأمور، وسيرها السير الحميد، وإنه ليعلي صاحبه عند الناس جميعا، فيجعله موضع ثقتهم، مرغوب الحديث عندهم، محبوبا إليهم، محترم الكلمة عند حكامهم، مقبول الشهادة عند قضاتهم.

وتصدير النبي- ﷺ - خطابه بلفظ (عليكم) المكون من حرف الجر على وضمير الجمع، لينتبه الجميع، ويتيقظوا لما يلقى عليهم من الكلام، ويفطنوا إلى ما يلقى عليهم من وصايا هي في غاية الأهمية، وكل كلمة من كلامه ذات أهمية.

كما نشعر من سماع تلك الصيغة التكليف والإلزام، وكأنَّ التحلي بالصدق أمر إلزامي لا ينبغي لأحد من ذكور الأمة، وإناثها أن يتخلى عنه.

وقد حذف الفعل من هذه الصيغة، والتقدير: «الزموا الصدق وداوموا عليه » اختصارًا في التعبير، وإسراعًا إلى الامتثال بالمطلوب، وحرصًا على التمسك به، فضلاً عما في الحذف من شغل للحواس، وتحريك للخواطر،

وإثارة للملكات؛ لا بد أن يلبسها المرء، ويصاحبها، فالباء بما تفيده من معانى الملاصقة، والمخالطة، والمصاحبة، والملابسة، توحى بقوة التمسك به، والامتزاج به.

والصدق كلمة واسعة المعنى، غزيرة الدلالة «يشمل صدق القول، وصدق الاعتقاد، وصدق الفعل، وصدق النية، وصدق الطبع، وكل ما يصح أن يكون الصدق وصفًا له مما يصدر عن الإنسان، أو يكون وصفًا له مما يدخل في جوهر الإنسان» (١).

والفاء في قوله: «فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ»، تسمى فاء التعليل، وهي واقعة في جواب الأمر المفهوم من أسلوب الإغراء، وهذه الفاء سارعت، وبينت العلة، وكفت عن التساؤل، ولم تكن الجملة بعدها جوابًا عن سؤال سائل، وإنما هي معطوفة بلا مهلة، ومترتبة على قوله: عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ.

وقد أتى النبي -ﷺ- بـ "إن" مؤكداً بها جملة البيان لعلة الأمر السابق، والتوكيد هنا لا لتنزيل غير المنكر منزلة المنكر، ولا المخاطبة المنكر الذي يقع منه إنكار لكلام نبينا، وإنما هو لتثبيت المعنى وتقويته وتقريره في نفوس المخاطبين، وهذا يدل على اهتمام النبي-ﷺ- بالخبر الذي يلقيه إليهم، لما له بالغ الأثر وعظيم النفع في حياتهم.

وتزداد أهمية المعنى بصورة مؤكدة حين عدل النبي -ﷺ- عن ذكر الضمير لسبق مرجعه، فوضع المظهر موضع المضمر في قوله: «فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ»؛ لاستحضار عظمة الصدق، والتأكيد على

(١) شرح أحاديث من صحيح البخاري :ص٣٩٥، ٣٩٦.

أهميته، إذ له الأثر البالغ في بناء النفس الإنسانية، وما يحدث فيها، فهو الباعث لكل خير في طبعها.

ونظم الجملة فوق ذلك عجيب في التقرير لهذا المعنى، فقد تأكدت أولاً بحرف التأكيد(إنَّ)، وثانيًا بتكرار الإسناد، فإنَّ الفعل يهدي قد أسند إلى ضمير الصدق المقدم على الفعل.

ودلالة الفعل المضارع (يهدي) تشير إلى أنَّ« كنوز الخير في النفس الإنسانية، كأنَّها تائهة في متاهاتها ومجاهلها، لا يهتدي إليها إلا بهذا الهادي المخلص الوفي الذي هو الصدق، وكأنَّ الصدق صار في النفس عرَّافًا يعرف معروفها، وينكر منكرها، وهو لا يهدي إلى خيرها إلا إذا كان يعرف شرها وفجورها» [١].

وقد ورد التقييد بـ(إلى) الغائية دلالة على القصد والانتهاء، وأنَّ الهدف الأسمى من وراء هذا الخلق هو الوصول إلى البر الذي هو اسم جامع للخيرات كلها، وكأنَّ الصدق إذا امتلك القلب لا يعيش فيه وحده، وإنَّما يبحث له عن رفيق هو نعم الرفيق، وهو البر، والبر عائلة من الفضائل هي رؤوس الفضائل كلها، فكل فضيلة داخلة في مفهوم البر» [٢].

(١) شرح أحاديث من صحيح البخاري :ص،٣٩٦.

(٢) السابق: ص،٣٩٦.

ويلاحظ أنَّ الصفات في هذا البيان النبوي هدى بعضها إلى بعض، فالصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة قال ابن بطال[1] : مصداقه في كتاب الله- تعالى -﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣ ﴾ الانفطار: ١٣

ويأتي قوله-ﷺ-: « وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا »، معطوفًا على ما سبقه من جمل، ليكون ختامًا للجزء الأول من الحديث، وفيه حث وحض على تحري الصدق وهو قصده والاعتناء به، وقد أشعر بحسن خاتمته، ودل على أن الصديق يكون مأمون العاقبة.

قال ابن بطال: « المراد أنه يتكرر منه الصدق حتى يستحق اسم المبالغة في الصدق. ومعنى يكتب هنا يحكم له بذلك، ويستحق الوصف بمنزلة الصديقين وثوابهم، أو صفة الكذابين وعقابهم، والمراد إظهار ذلك للمخلوقين، إما بأن يكتبه في ذلك ليشتهر بحظه من الصفتين في الملأ الأعلى، وإما بأن يلقي ذلك في قلوب الناس وألسنتهم، وكما يوضع له القبول، والبغضاء، وإلا فقدر الله تعالى وكتابه السابق بكل ذلك»[2] .

وإذا كان الصدق نجمًا يضيء الطريق للنفس للوصول إلى البر، ويستخرج منها دفائن الخير، فإنَّ الكذب هو شيطانها الذي يهدي إلى أهوائها، وشرورها، ويفجر في أعماقها فجورها، ولذا جاء التحذير منه في هذا البيان ليكون مقابلاً للإغراء بالصدق، ومن ثمَّ تتضح خصائص كل منهما،

---

(١) صحيح البخاري، لابن بطال المعروف بأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية/ الرياض – الطبعة: الثانية١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.،٩/٢٨٠.

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال ،٩/٢٨١.

وتتحدد المعاني المرادة في الذهن تحديدًا قويًا، حيث قال-ﷺ-:« وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا» والواو هنا عطفت هذه الجملة وما عطفت عليها على جملة «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ»؛ وما عطف عليها، فالعطف هنا عطف جملة من الجمل على مثلها.

وقد ابتدأ النبيُّ -ﷺ- هذه الجملة بصيغة التحذيرِ: « إِيَّاكُمْ»، لتوقظ أسماعهم، وتلفت انتباههم إلى خطورة الكذب، وما يترتب عليه من أمور لا تحمد عقباها.

وإيَّاكم مفعول به لفعل مضمر على التحذير، تقديره: « اتقوا أنفسكم واحذروا الكذب» وقد حذف الفعل؛ إسراعًا إلى الوفاء بالمطلوب؛ احترازًا وتنفيرًا منه، وابتعادا عنه. وواو العطف دليل على المحذوف المقدر، وأل في كلمة الكذب، لاستغراق الجنس، فتفيد استغراق التحذير وشموله لجميع أنواع الكذب.

وهذه الجملة« وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ»، هي الجملة المقابلة للجملة الأولى التي افتتح بها الحديث «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ»، وقوله-ﷺ-: « فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ»، هو المقابل لقوله: « فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وقوله: «وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ»، هو المقابل لقوله: « وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وقوله: وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا» هو المقابل لقوله: « وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا»، والمقابلة في الحديث الشريف "تستعمل لتقابل الحكمين إظهارًا وإيضاحًا لكل من المقامين ترغيبًا بأحدهما، وترهيبًا بالآخر، وشرية الشر تؤكد خيرية الخير بالمفهوم، فضلاً عن اقترانها بها في الذكر»[1].

(١) الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية :ص٢٣٩ .

ثانيا:

الإغراء في الرفق، والتحذير من العنف

عَنْ عَائِشَةَ – رضى الله عنها– أَنَّ الْيَهُودَ أَتَوُا النَّبِىَّ –ﷺ–فَقَالُوا السَّامُ عَلَيْكَ. قَالَ «وَعَلَيْكُمْ». فَقَالَتْ عَائِشَةُ السَّامُ عَلَيْكُمْ، وَلَعَنَكُمُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْكُمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ–«مَهْلاً يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ، وَإِيَّاكِ وَالْعُنْفَ أَوِ الْفُحْشَ». قَالَتْ أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا قَالَ «أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلاَ يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ»(١).

الحديث الشريف اشتمل على بعض الآداب الإسلامية التي منها ما يتعلق بالمسلم في خلقه ، وبعضها يتعلق بالمسلم من حيث علاقته مع الكافر، فعندما سلم اليهود– كما هو واضح من الحديث – على النبي –ﷺ– سلاما محرفا ، وأوهموه أنه السلام الشرعي رد عليهم سلامهم بكل أدب قائلا: وعليكم، لكن السيدة عائشة– رضي الله عنها– لم تصبر على خبثهم، ومكرهم، فأغلظت لهم القول ،فدعاها النبي –ﷺ–إلى الرفق، وحذرها من العنف والفحش، فقال: « مهلا يا عائشة »، ومهلا بفتح الميم، وسكون الهاء منصوب على المصدرية يستوي فيه الواحد فأكثر، والمذكر، والمؤنث أي تأني وارفقي، وهو مَصْدَرٌ لِفِعْلٍ مَحْذُوفٍ أَيِ: ارْفُقِي رِفْقًا، اسم فعل أمر جاء مصدرا، وهو مصدر لفعل محذوف تقديره: أمهلي مهلًا ، والتعبير بالمصدر دون الفعل لا يكون إلا للاهتمام، والتأكيد، والمبالغة؛ مما يورث الأسلوب فخامة ، والمعنى جلالاً ، والسامع

---

(١)صحيح البخاري، كِتَابُ الدَّعَوَاتِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «يُسْتَجَابُ لَنَا فِي اليَهُودِ، وَلاَ يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِينَا»، حديث رقم٦٤٠١، ٨/٨٥.

إيقاظًا ، وفيه حث على الرفق، والتحلي باللين، وعدم التسرع بالسباب والشتائم.

والنداء في قوله-ﷺ-: (يا عائشة) نداء فيه لفت، وتنبيه، إلى أن ما قالته خطأ قامت به تجاه اليهود ، وجاء هذا النداء؛ استجماعا لذهنها، وخاطرها، وتنبيها لها إلى أهمية ما يلقى عليها، وقد آثر النبي-ﷺ- من بين أدوات النداء (يا) الموضوعة لنداء البعيد؛ تنزيلا لقرب السيدة عائشة- رضي الله عنها- منه منزلة البعيد؛ إشارة إلى بعدها في هذا الموقف عن منهاج النبوة، ونور الشريعة في التعامل مع اليهود، فكان يجب أن تنبه على خطأها في ذلك.

وقد كان لهذا النداء الدور البارز في التنبيه إلى أهمية ما يلقى عليها من الأمر بالرفق في قوله-ﷺ-: (عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ)، فالنداء يوقظ النفس، ويلفت الذهن؛ لأنه ودعاء، فإذا جاء الأمر صادف نفسا مهيأة يقظة، فيقع منها موقع الإصابة، حيث تتلقاه بحس واع، وذهن متنبه، وهذا دليل على عناية الآمر بأمره، ورغبته في إعداد النفس لتلقيه.

وقوله-ﷺ-:(عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ) أسلوب إغراء اسم فعل أمر مركب من حرف الجر (علَيْ)، وضمير المخاطب الموجه إلى السيدة عائشة- رضي الله عنها- ،وحرف الجر يوحي بالإلزام، ففيه تنبيه لها إلى التحلي بخلق الرفق، وعدم التخلي عنه، لذلك جاء المغرى به (بِالرِّفْقِ)؛ مقرونا بالباء التي تفيد الإلصاق؛ إشارة إلى أن التمسك به، والتلبث به، ومصاحبته أمر محتم في جميع المواقف؛ خاصة في مثل تلك المواقف.

وقد فصلت الجملة الثانية (عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ) ؛ عما قبلها الجملة الأولى(مهلا يا عائشة)؛ لما بينهما من قوة الترابط، والتلاحم، وكمال الاتصال،

حيث نزلت الجملة الثانية من الجملة الأولى منزلة التوكيد المعنوي منها، فلما قال النبي-ﷺ-:عليك بالرفق كان ذلك تأكيدًا وتقريرًا لمضمون الكلام السابق ، فالأمر بالرفق هو الدعوة إلى التمهل ، والغرض من هذا الوصل هو التأكيد على ضرورة التعامل بهذا الخلق، والحث على عدم تركه؛ والتلطف في القول، وأخذ الأمور بأحسن الوجوه وأيسرها.

ثم إنه -ﷺ- في الجانب المقابل حذرها مما هو ضد الرفق، وهو العنف، وذلك بأسلوب التحذير: (وَإِيَّاكِ وَالْعُنْفَ)، وقد جاء معطوفا على جملة الإغراء(عليك بالرفق)، والذي سوغ العطف بينهما هو وجود التضاد الحاصل بين الجملتين؛ تأكيدا على أن تتمهل السيدة عائشة، وترفق في الأمر، وتصبر، ولا تتعدى عليهم بمثل قولهم.

وجملة:(وَإِيَّاكِ وَالْعُنْفَ أَوِ الْفُحْشَ)، جاءت إعلانا لخطورة الأمر، وتعجيلا بالإنذار من هذا الخلق، ولذا لهذه اللفظة(إياك) ما ليس لغيرها من الإثارة ، والتنبيه، والالتفات لما تعورف من استعمالها في اللغة للتحذير من الأمور الخطيرة، والتي يتوقع من جهتها مكروه، وأصل كلمة "إياكِ": أحذركِ الخطأ، وأحذرك العنف والفحش، أو أحذرك اتق، واترك العنف، ثم أضمر الفعل وجوبًا، لكثرة الاستعمال، فانفصل ضمير المفعول ، فصار "إياك" ، وحذف المفعول الثاني " الخطأ" ، وبقى المعطوف "العنف"، وواو العطف دليل على المحذوف المقدر. والمحذر منه (العنف) جاء معرفا بأل التي وضعت في اللغة للجنس؛ فتفيد استغراق التحذير، وشموله لجميع ما يسمى عنفا سواء أكان بالقول ، أم بالفعل.

وقد عطف الفحش على العنف من باب عطف العام على الخاص؛ تحذيرا من شأن العام، وتحقيرا له، وتقبيحا لشأنه؛ ابتعادا عنه، وتنفيرا منه،

وبين جملتي الإغراء والتحذير مقابلة بديعة جمعت بين أمرين، وما يقابلهما على الترتيب، فقوله-ﷺ-: (عليك) يقابل (إياك)، و(على) تشعر بالإلزام، و(إياك) توحي بالترك، والرفق، لِين الجانب ولَطافةُ الفعل والفحش ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال، والغرض من هذه المقابلة هو ترغيب النبي-ﷺ- في الرفق، والتحلي به، وذم العنف للابتعاد عنه.

الخاتمة

الحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف المخلوقات سيدنا محمد-ﷺ-خاتم الأنبياء والرسالات.

وبعد فقد خلصت تلك الدراسة المتواضعة إلى أهم النتائج التي تبرز خصائص أسلوبي التحذير والإغراء في البيان النبوي مما جاء في الصحيحين، وهي كالآتي:ـ

١- اتخذ النبي-ﷺ- من أسلوب التحذير وسيلة لدفع المسلم إلى توقى الخطر، والبعد عما يعرضه له؛ حفاظاً على سلامة المجتمع من الانحراف في مزالق الفساد والانحلال ، وتردى القيم والمبادئ والأخلاق.

٢- الأمور التي حذر منها النبي-ﷺ-متنوعة منها ما يخص العبادات كتحذيره من وصال الصوم ، ومنها ما يخص المعاملات كتحذيره من كثرة الحلف في البيع ، ومنها ما يخص العادات كتحذيره من الجلوس على الطريق، ومنها ما يخص العلاقات الاجتماعية، كتحذيره من الدخول على النساء، وهذا يدل على شمولية الإسلام، وذلك سدا لكل باب يمكن أن يأتي منه ضرر.

٣- وقوع جملة التحذير في بدء الحديث الشريف، وتصدير الكلام بهذا الأسلوب الخطابي اللافت إبرازاً لأهمية الطلب، وإظهاراً للعناية به.

٤- جاءت جملة التحذير بخطاب الجمع (إياكم)؛ مع أن الأمور التي حذر منها النبي-ﷺ-أغلبها يشترك فيها النساء- أيضا- وذلك على سبيل التغليب؛ لأن الرجال أقرب إلى الوقوع في الأمور المحذر منها.

٥- آثر النبي -ﷺ- صيغة التحذير المباشر دون النهي في الأحاديث التي قام عليها البحث؛ لأنه أقوى في الزجر عن الشيء من أسلوب النهى المباشر ؛ ومرد ذلك إلى أن النهى الصريح لا يعطى أكثر من المنع من الفعل مستقبلاً، أما التحذير فيفيد ذلك مشفوعًا بالتخويف ، والتفزيع ، والتيقظ ، والتأهب، والاستعداد للتحصين من الفعل قبل وقوعه وهذا أبلغ ردعًا ، وأمكن زجرًا.

٦- أثارت جملة التحذير في بعض المقامات في نفوس السامعين سؤالا ؛ لبيان معرفة العلة من الأمر المحذر منه، مما يدل على حرصهم على الابتعاد عنه.

٧- أتبع أسلوب التحذير وهو من أساليب الطلب ببيان علته ، وحكمة مشروعيته؛ استمالة إلى الطاعة والامتثال ، وتوجيهاً للملكات الإنسانية إلى استجلاء ما وراء الطلب من مصالح تتحقق بالتأمل والانصياع .

٨- كرر النبي-ﷺ-أسلوب التحذير في بعض المقامات مرتين؛ لمزيد الترهيب من الأمر المحذر منه، والتشديد على الابتعاد عنه.

٩- أما أسلوب الإغراء، فقد تنوعت مقاماته في البيان النبوي في أحاديث الصحيحين، فقد جاء في مقام الحث على السكينة في أداء الحج، وفي الحث على لزوم ديار بني سلمة ديارهم، وفي القصد في العمل، وفي غيرها مما يدل على غزارة المعاني التي حملها أسلوب الإغراء.

١٠- مهد النبي-ﷺ- للأمر المغرى به بأسلوب النداء، وذلك لأنه وسيلة قوية من وسائل اللفت والتنبيه والإيقاظ التي يقدم بها قبل الأمر المغرى به ، وهذا مما يحمل المخاطب على الامتثال لما أغري له.

١١- أتى المغرى به في أحاديث النبي-ﷺ-في أغلب المقامات مكررا؛ مما يدل على توكيده في النفوس، وحرصا منه في الاهتمام، والعناية به.

١٢- جمع النبي-ﷺ- بين التحذير والإغراء في بعض المقامات على سبيل المقابلة؛ ترهيبا من المحذر منه، وترغيبا في المغرى به.

١٣- تناسبت ألفاظ التحذير أتم مناسبة مع حال المخاطبين في جميع المقامات التي حذر فيها النبي-ﷺ- ، وكذلك ألفاظ الإغراء في المقامات التي أغرى فيها النبي-ﷺ- المخاطبين ، وكانت (إيا) مضافة إلى ضمير المخاطب، أو المخاطبين هي السائدة في أحاديث الصحيحين دون أن يكون التحذير بإفراد المحذر منه، أو تكراره ؛ ليشمل التحذير عموم الأمة كلها رجالا ونساء؛ أما الإغراء، فقد جاء المغرى به في بعض المقامات مكررا لتأكيده في النفوس ، وفي بعضها جاء بلفظ(على) مضافا إلى ضمير المخاطب؛ إلزاما له بفعل المغرى به.

ثبت المصادر والمراجع

- الأدب النبوي، لمحمد عبد العزيز بن علي الشاذلي الخَوْلي (المتوفى: ١٣٤٩هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت، الطبعة: الرابع، ١٤٢٣ هـ.
- أساليب القصر في القرآن الكريم و أسرارها البلاغية، د/ صبّاح دراز – مطبعة الأمانة – مصر – ط : الأولى ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.
- أسرار البيان النبوي، د / أحمد محمد على – دار الصحوة – ط : الأولى ١٤٠٦ هـ.
- أسرار الفصل والوصل في البلاغة القرآنية ، د/ صبّاح دراز – مطبعة الأمانة – مصر – ط : الأولى ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.
- أسس النقد الأدبي عند العرب :د/ أحمد بدوى ..دار نهضة مصر ١٩٩٦.م.
- الأشباه والنظائر، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١١هـ- ١٩٩١م.
- الإعجاز البلاغي. دراسة تحليلية لتراث أهل العلم. أ.د/ محمد أبو موسى – مكتبة وهبة – ط: الثانية ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م.
- إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٩١ – ٧٥١)حققه: محمد عزير شمس، خرج أحاديثه: مصطفى بن سعيد ، الناشر: دار عالم الفوائد – مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ.

- إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم: لعياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبي الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، تحقيق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل لناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
-أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك . لجمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري ، تحقيق / يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر . بيروت ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م
- الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني – ت : د / عبدالقادر حسين – مكتبة الآداب – القاهرة – ط : الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .
- بغية الإيضاح :للشيخ عبد المتعال الصعيدي -مكتبة الآداب . ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م، ٣/١٥١.
- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: للدكتور/ عبد الرحمن حسن حبنَّكة الميداني، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ،١٩٩٦.
- البيان والتبيين، لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبي عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ)، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: ١٤٢٣ هـ.
-التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور – الدار التونسية للنشر – ١٩٨٤ م .
- التصريح بمضمون التوضيح في النحو، لخالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، (المتوفى: ٩٠٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

-جمع الوسائل في شرح الشمائل، لعلي بن (سلطان) محمد، أبي الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى : ١٠١٤هـ)، الناشر : المطبعة الشرفية – مصر ، طبع على نفقة مصطفى البابي الحلبي، بدون تاريخ .

-الجنى الداني في حروف المعاني ،لابن قاسم المرادي – ت : د/ فخر الدين قباوة ، أ/ محمد نديم فاضل – دار الكتب العلمية – بيروت – ط : الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م .

- حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، لأبي العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ -١٩٩٧م.

- حاشية محي الدين زاده على تفسير القاضي البيضاوي، ت: محمد عبدالقادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

- الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية .،د/ كمال عز الدين – دار اقرأ – ط : الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م ، صـ٤٠٧.

- الحذف البلاغي في القرآن الكريم: مصطفى عبد السلام أبو شادي ، مكتبة القرآن بالقاهرة.

- الحركة الأسلوبية، د / عبد الرازق محمد فضل – رحمه الله – مطبعة الشروق – بدون -خصائص التراكيب " دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ".، د / محمد أبو موسى – مكتبة وهبة – ط : السادسة ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .

- دفاع عن البلاغة ، أ / أحمد حسن الزيات – مطبعة الرسالة – ط : ١٩٤٥ م.

- دلائل الإعجاز في علم المعاني: لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)،تحقيق: محمود محمد شاكر أبي فهر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.
- دلالات التراكيب " دراسة بلاغية " ،د / محمد أبو موسى – مكتبة وهبة – ط : الثالثة ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.
- سبل الاستنباط من الكتاب والسنة " دراسة بيانية ناقدة " ،د / محمود توفيق سعد – مطبعة الأمانة – ط : الأولى ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م.
- –سنن النسائي، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وبحاشية الإمام الجليل السندي ، دار القلم ـ بيروت، بدون
- شرح أحاديث من صحيح البخاري دراسة في سمت الكلام الأول، د/ محمد أبو موسى – مكتبة وهبة – ط: الثانية١٤٣١هـ,٢٠١٠م.
- شرح حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) لدار المحدث للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ.
- شرح الرضي على الكافية، الشريف الرضي – ت : د / يوسف حسن عمر – منشورات جامعة قار يونس – بنغازي – ط : الثانية ١٩٩٦ م.
- شرح الطيبي علي مشكاة المصابيح ، ت. د / عبد الحميد هنداوي . مكتبة نزار الباز . مكة المكرمة . ط أولي ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .

- شرح عمدة الأحكام ،لعبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن جبرين، قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.
- – شرح كتاب الرقاق من صحيح البخاري، لأبي هاشم صالح بن عوّاد بن صالح المغامسي، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.
- شرح المفصل، لموفق الدين يعيش بن علي بن يعيش (ت٦٤٣ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- شرح النووي على صحيح مسلم، المسمى المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.
- الصبغ البديعي :د/ أحمد موسى .ص٤٧١ .دار الكتاب العربي – بيروت . طبعة ١٣٨٨هـ- ١٩٦٩م .
-صحيح البخاري، الجامع الصحيح المختصر، لمحمد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا الناشر : دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ - ١٩٨٧ م.
- صحيح البخاري، لابن بطال المعروف بأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية/ الرياض - الطبعة: الثانية١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- لمسلم بن الحجاج أبي الحسن

القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ): تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

- الصناعتين : (الكتابة والشعر): لأبى هلال العسكري ..ت: د/ مفيد قميحة . دار الكتب العلمية – بيروت – ط: الثانية ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م..
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، للإمام بدر الدين العيني – ت : أ /عبد الله محمود محمد عمر – دار الكتب العلمية – بيروت – ط : الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- غريب الحديث ، لأبي الفرج عبد بن علي بن الجوزي ، تحقيق د/ عبد المعطي أمين قلعجي دار الكتب العلمية . بيروت الطبعة الأولي ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م .
- الفائق في غريب الحديث والأثر للإمام الزمخشري . تحقيق/ علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعرفة . لبنان . ط: الثانية، بدون.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري . ابن حجر العسقلاني – ت : الشيخ / عبدالعزيز بن باز، و أ/محمد فؤاد عبدالباقي – دار مصر للطباعة – ط : الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- فتح المنعم شرح صحيح مسلم ، د / موسى شاهين لاشين – دار الشروق – ط : الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- في البلاغة العربية (علم البيان): د/ محمد مصطفى هدارة، دار العلوم العربية – بيروت – ط : الأولى ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم

المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦هـ.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للعلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧ . ٥٣٨ هـ)، الناشر : دار الكتاب العربي . بيروت، سنة الطبع : ١٤٠٧ هـ.
- لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.
- لمحات من هدى النبي (صلى الله عليه وسلم) وبلاغته ، د / عبد الغنى محمد بركة – بدون طبعة ، بدون تاريخ .
- اللمحة في شرح الملحة، لمحمد بن حسن بن سِباع بن أبي بكر الجذامي، أبي عبد الله، شمس الدين، المعروف بابن الصائغ (المتوفى: ٧٢٠هـ)، تحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

– المجموع شرح المهذب ، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار الفكر، بدون طبعة.

- مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام / أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمد النسفي تحقيق / سيد زكريا مكتبة نزار مصطفي بازة بمكة المكرمة الطبعة الأولي . ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .
- مختار الصحاح، لزين الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ

محمد، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لأبي الحسن المباركفوري، المتوفى(١٤١٤هـ)، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ ٦/٧،
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.
- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد وصبري عبد الخالق الشافعي ، ناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م.
- معالم السنن المؤلف : أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابي البستي (٢٨٨ هـ)، الناشر : المطبعة العلمية – حلب، الطبعة الأولى ١٣٥١ هـ – ١٩٣٢ م.
- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني – المكتبة التوفيقية – بدون.
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، الإمام أبو العباس القرطبي – ت : أ / يوسف بديوي ، وآخرون – دار ابن كثير – دمشق ، وبيروت – ط : الأولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٦ م .
- مقاييس اللغة، لابن فارس – ت : أ / عبدالسلام هارون – دار الفكر – سنة ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩م.

- منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، لحمزة محمد قاسم، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون، الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق – الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف – المملكة العربية السعودية عام النشر: ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م.
- من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم . د / محمد الأمين الخضري مكتبة وهبة – ط : الأولى ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩ م.
- من بلاغة الحديث النبوي ، د / محمد أحمد سحلول – دار الاعتصام – القاهرة – سنة ١٩٩٩م .
- المنتقى شرح الموطإ، لأبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (المتوفى: ٤٧٤هـ)، الناشر: مطبعة السعادة – بجوار محافظة مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٣٢ هـ.
- نحو المعاني :د/ أحمد عبد الستار الجواري ، مطبعة المجمع العلمي العراقي١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- النحو الوافي ، أ / عباس حسن – دار المعارف – مصر – ط : الثالثة ١٩٧٤ م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام / مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثر الجزري تحقيق / أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عطية بن عويضة، دار الكتب العلمية . بيروت الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .
- نيل الأوطار شرح منتقي الأخبار من أحاديث سيد الأخيار للإمام/ محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق د/ كمال الجمل، و أ/عبد الله المنشاوي، والشيخ/ محمد بيومي والشيخ/ صلاح عويضة، مكتبة الإيمان . بالمنصورة الطبعة الأولي ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

ثانيا: ثبت الموضوعات

م	الموضوعات
١	المقدمة
٢	التمهيد: نبذة عن التحذير والإغراء عند النحويين.
٣	المطلب الأول: التحذير في الصحيحين.
٤	أولا: التحذير من كرائم الأموال.
٥	ثانيا: التحذير من وصال الصوم.
٦	ثالثا: التحذير من ذبح الحلوب.
٧	رابعا: التحذير من كثرة الحلف في البيع.
٨	خامسا: التحذير من الدخول على النساء.
٩	سادسا: التحذير من الجلوس على الطرقات.
١٠	سابعا: التحذير من الظن.
١١	الإغراء في الصحيحين
١٢	أولا: الإغراء في لزوم ديار بني سلمة ديارهم.
١٣	ثانيا: الإغراء في كثرة السجود.
١٤	ثالثا: الإغراء في السكينة عند أداء مناسك الحج.

١٥	رابعا: الإغراء في القصد في العمل، وعدم التشدد فيه.
١٦	خامسا: الإغراء في الرفق بالقوارير.
١٧	سادسا: إغراء سيدنا جابر- رضي الله عنه- في إتيان أهله بعد العودة من السفر أو الغزو.
١٨	سابعا: إغراء الأحباش في اللعب بالحراب في مسجد رسول الله- ﷺ-.
١٩	المطلب الثالث: اجتماع أسلوبي الإغراء و التحذير في الصحيحين
٢٠	أولا: الإغراء في الصدق، والتحذير من الكذب.
٢١	ثانيا: الإغراء في الرفق، والتحذير من العنف.
٢٢	الخاتمة
٢٣	ثبت المصادر والمراجع
٢٤	ثبت الموضوعات.